

القبيلة الزرقاء

الكوكب الأزرق

إسلام عبد الباقي



القبيلة الزرقاء

الكوكب الأزرق

اسم الكتاب: القبيلة الزرقاء (الكوب الأزرق)

المؤلف: إسلام عبد الخالق

رقم الإيداع: 7361 / 2017

الترقيم الدولي: 3 - 76 - 5264 - 977 - 978

تصميم الغلاف:

تدقيق لغوي:

تنسيق داخلي:

info@sekoon.com

إسلام عبد الباقي

القبيلة الزرقاء

الكوكب الأزرق

رواية

دار

إهداء

كنتَ دائمًا السند والظهر..

وأنـا أكتـب هـذه الروايـة كل مـا كان يشـغل بالـي وتفكيـرى هـو أنـت، أن أكـون شـرفًا وفخـرًا لـك.. لا أجـد كلمـاتٍ توفي بقــدرك في وجـدانــي وعـقـلــي وقلبي..

أبي العزيز.. أحبك.

مقدمة

نقـلَ الحافـظ بـن كثـير في «البدايـة والنهايـة» عـن «كثـير مـن علـماء التفسـير»، أن الجـن خُلِقـوا قبـل آدم عليـه السـلام، وكان قبلهـم في الأرض «الحِنُّ والبِنُّ»، فسـلط الله الجـن عليهـم فقتلوهـم وأجلوهـم عنهـا وأبادوهـم منهـا وسـكنوها بعدهـم. هكـذا قـال نصًّـا، دون أن يشـير إلى أي صفـاتٍ لهـذه المخلوقـات أوطباعهـا، وممـا خُلِقَـت.

خلـق الله عزوجـل «سـوميا» أبـو الجـن قبـل خلـق آدم عليـه السـلام بألفـيّ عـام، وقـال عزوجـل لـ «سـوميا»: «تمـنَّ».. فقـال «سـوميا»: «أتمنـى أن نـرى ولا نُـرَى، وأن نغيـب في الثـرى، وأن يصـير كهلُنـا شـابًا». فلبَّـى الله عزوجـل لـ «سـوميا» أمنيتـه، وأسـكنه الأرض لـه مـا يشـاء فيهـا. وهكـذا كان الجـن أول مـن عبـدَ الـرب في الأرض.

ولكـن أتـت أمـة مـن الجـن، بـدلاً مـن أن يداومـوا الشـكر للـرب عـلى مـا أنعـم عليهـم مـن النعـم، فسَـدوا في الأرض بسـفكِهم للدمـاء فيـما بينهـم؛ فأمـر الـرب جنـوده مـن الملائكـة بغـزو الأرض لاجتثـاث الـشرّ الـذي عمَّهـا وعقـاب بنـي الجـن عـلى إفسـادهم فيهـا، وغـزت الملائكـة الأرض وقتلَـتْ مـن قتلـت وشرَّدت مَـن شردت مـن الجـن، وفـرّ مـن الجـن نفـرٌ قليـلٌ،

اختبأوا بالجُزُر وأعالي الجبال، وأسرَ الملائكة من الجن «إبليس» الذي كان حينذاك صغيرًا، وأخذوه معهم للسماء.

المصدر: تفسير ابن مسعود.

كبر «إبليس» بين الملائكة، واقتدى بهم بالاجتهاد في الطاعة للخالق سبحانه، وأعطاه الرب منزلة عظيمة بتوليته سلطان السماء الدنيا. خلقَ الرب أبو البشر «آدم» -عليه السلام-، وأمر الملائكة بالسجود له؛ فسجدوا جميعًا طاعةً لأمر الرب، لكن «إبليس» أبى السجود، وبعد أن سأله الرب عن سبب امتناعه، قال: «أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ» سورة الأعراف آية ١١٢.

وبعد أن أغوى الشيطان آدم عليه السلام بقصة الشجرة، وبعد أن تاب آدم، أمرَ الله سبحانه وتعالى بهبوط آدم عليه السلام إلى الأرض، وتحديدًا بالهند، وهبط إبليس بمكانٍ أقرب بالبصرة، ومن هنا بدأت معركة الإنس والجن، في حين كان إبليس يبني مملكته الشيطانية.

بدأ آدم عليه السلام في زرع الأرض من ثمارٍ أعطاه إليه رب العالمين له من الجنة، وأنجب من حواء الأولاد، وبقي في طاعة الله، وبعدَ عن ما نهيَ عنه.

حينها لم نار حقد إبليس وشره على آدم قد خمدت، لم يكفِه أنه كان السبب في هبوط آدم من الجنة، ولكن ظل إبليس بالمرصاد؛ لذا اختار أن يستخدم سلاحه «الوسوسة»، لكن ليس على «آدم» و «حواء» بل على ابنهما «قابيل» الذي كان يُمني النفس بالزواج من توأمته التي شاء الرب أن يتزوجها أخوه

«هابيـل»؛ فوسـوس «إبليـس» لـــ «قابيـل» بقتـل أخيـه «هابيـل» فحـدثَ مـا حـدثَ مـن القتـل.. والقصـة في ذلـك مشـهورة.

ووجـد «إبليـس» بذلـك أن ذريـة «آدم» هدفـه، ووضـع جـلَّ أهدافـه في ذريتهـا التـي رآهـا أضعـف أمـام الأهـواء، فبـدأ شرّه يظهـر للوجـود وبـلا حـدود . وبعـد أن مـات «آدم» و «حـواء»، وظـن «إبليـس» أن موتهـا انتهـاءٌ لهروبـه مـن المواجهـة، وأن بإمكانـه الظهـور علنًـا للبشر وشـنّ حربـه عليهـم، لأنهـم ضعفـاء لا يقـدرون عـلى المواجهـة، ظهـر للعلـن ومعـه خلـق مـن شـياطين الجـن والمـردة والغيـلان ليبسـط نفـوذه عـلى الحيـاة في الأرض، ولكـن الـرب شـاء أن ينـصر بنـي الإنـس عـلى الجيـش الإبليـسي الـذي أسسـه «إبليـس» مـن الجـن والمـردة والغيـلان، حـين نصرهـم برجـلٍ عظيـم اسـمه «مهلابيـل» ونسَـبُه هـو: (مهلاييـل بـن قينـن بـن أنـوش بـن شـيث عليـه السـلام بـن آدم عليـه السـلام. قـام «مهلابيـل» بتأسـيس مدينتـين محصنتـين همـا: مدينـة بابـل، ومدينـة السـوس الأقـصى؛ ليحتمـي بهـما الإنـس مـن أي خطـرٍ يهددهـم، ثـم أسـس جيشـه الإنـسي الـذي كان أول جيـش في حيـاة الإنـس للدفـاع عـن بابـل والسـوس الأقـصى، وقامـت معركـةٌ رهيبـة بـين جيـش «مهلابيـل» وجيـش «إبليـس»، وكتـب الـرب النـصر بهـا للإنـس، حيـث قُتِـلَ بهـا المـردة، والغيـلان، وعـدد كبـير مـن الجـان، وفـرّ «إبليـس» مـن المواجهـة.

بعـد هزيمـة «إبليـس» وفـراره مـن الأراضي التـي يحكمهـا «مهلابيـل» ظـل يبحـث عـن مـأوى يحميـه ومـن معـه مـن شـياطين

الجـن الخاسريـن في المعركـة ضـد «مهلابيـل». واختـار أن يكـون هـذا المـأوى بعيـدًا عـن مواطـن الإنـس، يبنـي بـه مملكـة يحكمهـا وتلـم شـمل قومـه شـياطين الجـن الفاريـن مـن غـزو الملائكـة آنـذاك؛ فـأي مـأوى اختـار «إبليـس» لبنـاء مملكتـه؟

طـاف «إبليـس» في الأرض بحثًـا عـن المنطقـة الملائمـة لبنـاء حلمـه، ووقـع اختيـاره عـلى منطقتـي مثلـث برمـودا ومثلـث التنـين، وكان اختيـاره لهاتـين المنطقتـين لأسـباب عـدة هـي:

- تقـع منطقتـي برمـودا والتنـين عـلى بُعـد آلاف الأميـال عـن المناطـق التـي يسـتوطنها البـشر آنـذاك. مـن هنـا بـدأت معركتـه الأبديـة الخفيـة بـين الشـيطان والإنـس، تلـك هـي حقائـق حـروب الإنـس والجـن، ولكـن بتلـك الروايـة الخياليـة ندخـل في عـالم الجـن مـن وحـي الخيـال لنثبـت كيـف يسـتطيع الشـيطان أن يتحكـم في عقولنـا بالوهـم والحقيقـة المعكوسـة.

المصادر:

- ابن كثير- البداية والنهاية.
- الدكتور عائض القرني.

❋❋❋

أحكَم الشيطان سطوته، وأغلق كل أبواب العودة.
الوهم والحقيقة بينهما خيطٌ رفيع.. تلك هي منطقة الجنون.

بين الوهم والحقيقة

الحلقةا لأولى

الشغف

الشغف..

هو النظرية السائدة حول نشأة الكون.

تعتمد فكرة النظرية على أن الكون كان في الماضي في حالة حارة شديدة الكثافة، فتمدد، وأنه كان يومًا جزءًا واحدًا عند نشأته.

تُقَدِّر بعض التقديرات الحديثة حدوث تلك اللحظة قبل ١٣,٨ مليار سنة، والذي يعتبر عمر الكون.

فبعد التمدد الأول، بَرُدَ الكون بما يكفي لتكوين جسيمات دون ذَرِيّة كالبروتونات والنيترونات والإلكترونات، ورغم تَكَوُّن نَوَيات ذَرّية بسيطة خلال الثلاث دقائق التالية للانفجار العظيم.

تلك كانت أُولى كلمات يقرأها صدفة وهو يحرك إصبَعَهُ على شاشة هاتِفِهِ المحمول جالسًا على كرسي متحرك داخل شرفة غرفته بقصر عائلته الثرية متصفحًا صفحته على «الفيس بوك»،

ومـن هنـا بـدأ شَـغَفَهُ بتلـك الأسرار الغامضـة بعـالم الفضـاء، ولم يقـف الشـغف إلى ذلـك الحـد، ولكـن أخـذه إلى مـا هـو أبعـد مـن حـركات الكواكـب والنيـازك والانفجـار الكـوني؛ فقـد وصـل بـه الحـال إلى أنـه أصبـح مَهْوُوسًـا بتلـك الأسرار الخفيـة الغامضـة ،أسرار مـا وراء الطبيعـة، ولكـن!

«وقبل ذلك بعامين»

يظهـر شـاب في العِقْـد الثالـث مـن العمـر يَبْـدُو عليـه الثَـرَاء، وَسِـيم، جَـذَّاب.

يخـرج مـن مَلْهَـى ليـلي بصحْبَتِـهِ امـرأة تقَهْقِـه بضحـكاتٍ عاليـةٍ قبيحـة، وَاضِعًـا يَـدَهُ عـلى خَصْرِهَـا تَفُـوحُ مـن فَميهـما رائحةَالخَمْـر، ظـلا يتَمَايَـلان يمينًـا ويسـارًا وهُـم في حالـة سُـكْر مُمِيتَـة، حتـى وصـلا إلى سـيارته الفارهـة الواقفـة أمـام الملهـى.. أدار مُحَـرِّك السـيارة وانطلـق بسرعـة فائقـة حتـى سُـمع صـوت عجـلات السـيارة تُصْـدِرُ صريخًـا جنونيًّـا وتركـت وراءهـا دخانًـا كثيفًـا وسَـط حالـة مـن الدهشـة غطـت عـلى كل المتابعـين لحالتـه وهـو خـارج مـن الملهـى. ظـل يَنْعَطَـف بالسـيارة يمينًـا ويسـارًا باستِهْتَارٍ كبـير، ومـا زالـت تلـك المـراة تُصدِرُ ضحكاتهـا العاليـة، ثـم فجـأةً ظهـرت أمامـه سـيارة نقـل كبـيرة قاطعـةً الطريـق أمامـه، حَـاوَلَ أن يَتَفَادَهـا ولكـن انحرفـت عجلـة القيـادة مـن بـين يَدَيْـهِ جَعَلَـت السـيارة تنْقَلـبُ رأسًـا عـلي عَقِـب.. ظَلَـت تَنْقَلـب بالهـواء عـدة مـرات حتـى اسـتقرت بجانـب الطريـق وكأنهـا خـردة معدنيـة في سـاحات السـيارات القديمـة، هـرع النـاس إلى السـيارة فوجـدوه فاقـدًا الوعـي والدمـاء تسـيل منـه، وبجانبـه تلـك المـرأة تلفـظ

أنفاسها الأخيرة ورائحة البنزين تفوح من كل مكان، تجمهرت الناس على السيارة، منهم من حاول إخراجهما، ومنهم من اتصل بالإسعاف.. ظل الناس يحاولون إخراجهما بسرعة؛ خوفًا من انفجار السيارة وهما بداخلها.. حتى استطاعوا إخراجهما أخيرًا.. وهرعوا بهما بعيدًا عن مكان الحادثة، كل هذا ولم تصل الإسعاف بعد.

وحينها كان صدفة رجلٌ يسير بسيارته من نفس الطريق مع عائلته، يبدو عليهم الوقار والاحترام، تَوَقَف ونَزَلَ من سيارته، ثم توجه إلى التزاحم ناحية الحادثة وهو يستأذن الواقفين، وأَقْحَمَ نفسَه بيْنَ التَجَمُع، ثم جثا على ركبتيه بجانب ذلك الشاب،ووضع إصْبَعَيْهِ السبابة والوسطى على رقبته متحَسِسًا نبضاته في صمت، وفعل نفس الشيء مع تلك المرأة ولكنه نظر إلى الواقفين في حزن الدكتور: البنت دي البقاء لله.

ثم وقف وأسرع ناحية سيارته ليلتقط هاتفه المحمول في سرعة ووضعه على أذنه.

الرجل: أيوه، أنا الدكتور رجائي، ابعتوا لي عربية إسعاف حالًا، أنا في الجيزة ميدان الرماية.

كل هذا ولم تأتِ بَعد سيارة الإسعاف الأولى. بدأ الدكتور يبحث على أي شيء يدل على هوية أحدٍ منهم، حتى وجد المحفظة الخاصة بالشاب، فتحها وجد بطاقة الهوية الخاصة به مكتوب اسمه: «ياسر مصطفي عدلان»، صوت الإسعاف قادمة أخيرًا.



تحـرك النـاس ليصنعـوا ممـرًا لتسـير فيـه سـيارة الإسـعاف ببطء وسـط زحـام شـديد توقفـت ونـزل منهـا مسـعفان بهـدوء أعصـاب يسـيران ناحيـة يـاسر الملقـى عـلى الأرض.

المسعف: إيه خير يا جماعة، ماله؟؟

رد أحـد الواقفـين بسـخرية وامتعـاضٍ شـديدٍ: لا أبـدًا هـو نايـم شـوية قولنـا نتصـل بيكـم تِصَحُـوه! مـا انـت شـايف حادثـة، إحنـا بنتصِّـل بِيكُـم مـن سـاعة، وجـاي تقـول لي مالـه، يـا عـم الراجـل بيمـوت.

بادلـه المسـعف نفـس تلـك نظـرة الامتعـاض بـدون رد.. وسـط سـخط مـن الواقفـين، ثـم تحـرك ناحيـة يـاسر، لكـن قاطَعـة الدكتـور رجائـي بحـزمٍ وغضـبٍ:

- أنـا الدكتـور رجائـي، استشـاري المـخ والأعصـاب مافيـش وقـت، خُـدُوه وانـا جـاي معاكـم، الشـاب بِيِنْـزِف مـن وقـت كبير.

-المسعف: معلش دي تعليمات.. أشوف الحالة في الأول.

وفي تلـك اللحظـة كان هنـاك صـوت سـيارة إسـعاف أخـرى قـد وصلـت بالفعـل، تلـك السـيارة التـي طلبهـا الدكتـور.. توقفـت السـيارة أمامهـم، ونـزل منهـا مسـعفان وتحـركا ناحيـة يـاسر ومعهـما سريـر الإسـعاف، رفعـاه ثـم وضعـاه عليـه، وتحـركا مسرعـين عائديْـنِ. انطلقـت سـيارة الإسـعاف بسرعـة وخَلْفَهـا الدكتـور بسـيارته، حتـى وصلـوا إلى مستشـفى الدكتـور رجائـي للمـخ والأعصـاب، دخلـوا مسرعـين إلى غرفـة الطـوارئ، وخلفهم الدكتـور رجائـي. شرعـوا في محاولـة إنقـاذه، ولكـن النزيـف قـد أحـدث اضطرابًـا في دورة المـخ أدخلـه في غيبوبـة عميقـة، واسـتمر

ياسر في غرفة العناية طويلًا أكثر من عام بين أجهزة الإعاشة وأسلاك وأصوات إنذارات أجهزة الغرفة بلا أي تقدُّم.. في سُبات كان هو نائمًا بلا حراك.. وذات يوم دخلت الممرضة إلى غرفته تفحص حالته، وبعد أن انتهت وهمَّت أن تغادر الغرفة، سمعت صوت خفيض متعب كأنه همسٌ:

- أنا فين؟



الحلقة الثانية

الفزع

الصوت: أنا فين!

كان صوت يخرج من ناحية سرير بمنتصف غرفة العناية الماكث بها ياسر، توقفت الممرضة مُلتفتة برأسها إلى الخلف تنصت لذلك الصوت بتركيز.. وَجَدَت ياسر بصوتٍ خفيض وكأنه يُهَمْهِم هامسًا بأُذنِ أحَدهم.

ياسر: أنا فين.

الممرضة: إنت بتتكلم؟

لم تجد حينها ردًّا منه ولا حركةً، سارت إليه بخطوات حذره تترقبه حتى توقفت بجانبه.

الممرضة: إنت سامعني؟ طب لو سامعني حرَّك إيدك.

حينها حرك ياسر إصبعه رافعًا إياه ببطء كأنه ينطق الشهادة، أسرعت الممرضة خارج الغرفة لتخبر الدكتور أحمد المناوب في تلك الليلة، ظلت تهرول برواق الدور الثاني وتصيح في دهشة:

- يا دكتور أحمد، ياسر فاق، ياسر فاق يا دكتور أحمد.

حتـى سـمعها الـدور بكاملـه، خـرج الطبيـب مسرعًـا مـن مكتبـه الموجـود بآخـر الـرواق وتوجَّـه مسرعًـا ناحيـة المرضـة، وظـلا يهـرولان وهـي تخبره أثنـاء ذلـك عـمَّا حـدث، حتـى وصـل لغرفـة يـاسر، غرفـة رقـم «٣٥» وأمسـك مقبـض البـاب وهـمَّ أن يفتـح الغرفـة حتـى سـمع صـوت صفـير الأجهـزة الطبيـة يتعـالى وأنـين مكتـوم مـن يـاسر كأنـه يرفـض الاستسـلام- الطبيـب: يـاسر، إنـت سـامعني؟

وفجـاة.. انشـقت الأرض مـن تحـت السريـر المسـتلقي عليـه يـاسر وابتلعتـه وأُغلِقَـت.. وأحكمـت الإغـلاق.. وسـط صراخ الممرضـة غـير المفيـد، والدكتـور بذهـول تجمَّـد كالتمثـال بـلا أي حركـة، حينهـا كان يـاسر يتهـاوي مـع سريره بسرعـة كبـيره إلى باطن الأرض.. والضـوء يتلاشـى شـيئًا فشـيئًا حتى أصبـح الظـلامُ مرعبًا، ومـا يـزال يـاسر يتهـاوى في الظـلام.. صارخًـا بطلـب النجـدة، ظـل يـصرخ حتـى كادت أحبالـه الصوتيـة أن تنقطـع.. ولكـن لا مجيـب، حتـى ارتطـم بعنـفٍ عـلى أرضٍ لا معـالم لهـا إلا صـوت الصمـت المريـب المطبـق عليـه ظـلام دامـس.. الآن أصبـح وحيـدًا..

لا عائلـة صاحبـة سـلطة ولا أمـوال، الآن بمفـرده.. رعـب سـيطر عليـه، وأيقـن أنـه ميـت.. والآن هـو وقـت الحسـاب.. ضاقـت جنبـات الظلمـة عليـه وكأنهـا قـبره.. هـو المـوت لا محالـة.. ظـل يـصرخ بعـزم مـا فيـه، ولكـن لا مجيـب، وفجـأة تـسرب دخـانٌ أزرق مـلأ المـكان بأكملـه، وصـوت ينـادي مـن بعيـد: «قادمـون.. قادمـون».. صـوت رعـب قـادم مـن آخـر المقـبرة.. ظـل يـصرخ بـكل قوتـه، ولكـن تلـك المـرة قـد انقطـع صوتـه وشـلت حركتـه، لا صـوت ولا حركـة، ينتظـر المجهـول وحيـدًا بمفـرده.

ظل الصوت ينادي من بعيد: «قادمون.. قادمون»، وفجأه اختفى الصوت اختفي كل شيء.. وظل شيءٌ واحدٌ فقط: الانتظار.. انتظار القدر.. انتظار الحساب.. لا مفر.

بعدها شعر بأنفاسٍ تقترب تنفخ كلهيب النار بوجهه كادت تحرقه.. أنفاس كريهة كرائحة العفن، وشيء لزج يتساقط على وجهه ولا يعلم ماهو، ثم زمجر وقال بصوتٍ خفيضٍ بأذن ياسر:

- نحن قادمون أبلِغ الجميع.. لن يفلت منّا أحد، وأنت ستصبح آخرهم..

ثم اختفى كل شيء فجأة، وما زال صريخ ياسر يقطع أوتاره، وانتفض فجأة.. وجد الدكتور أحمد يقول:

- جهزي لي حقنة مهدِّئة حالًا.

***



الحلقة الثالثة

الفزع

الطبيب: جهزي لي حقنة مُهدئة حالًا.

هـذا مـا كان يحـدث بغرفـة يـاسر بعـد أن أفـاق مـن غيبوبتـه بطريقـة مُريبـة وسـط صراخ هسـتيريّ، ولكـن بعـد قليـل، بـدأ ياسر يهـدأ رويـدًا رويـدًا حتـى غفـا مـن أثـر مفعـول الحقنـة المهدئـة التـي طلبهـا الدكتـور، تلـك الثـورة الهسـتيرية المفاجئـة المفزعـة قـد انتهـت، وراح في نـوم عميـقٍ.. ظـل الدكتـور أحمـد بجانبـه ناظـرًا لتلـك الأجهـزة المنتشرة بالغرفـة وماسـكًا بمعصـم يـاسر يتحسـس نبضـه.. ثـم قـال في تعجـب:

- أنـا لـو مـا كنتـش موجـود بنفسي عمـري مـا كنـت هصـدَّق إن حـد يفـوق مـن الغيبوبـة بالطريقـة دي.

ثم توجَّه بطلب من الممرضة:

- اتصـلي بأهلـه وبلغيهـم إنـه فـاق وأنـا منتظرهـم، وبلغـي الدكتـور رجائـي بالـلي حصـل.

أسرعـت الممرضـة وخرجـت مـن الغرفـة متجهـة إلى مكتـب الاسـتعلامات تخبرهـم بذلـك.

ذهبت إلى عامل الاستقبال، شاب في منتصف العشرينيات من أصحاب اللون الأسمر، تبدو على ملامحه النوبية، الطيبة.

- عبدالله، اتصل بسرعة بأهل غرفة «٣٥» وقُل لهم إنه فاق من الغيبوبة وإن الدكتور عايزهم حالًا.

- إنتِ تأمري يا قمر.. ولو عايزاني أتصل بشعب مصر كله أتصل.. بس انت ترضى عليَّ يا جميل.

حينها نظرت له الممرضة بامتعاضٍ شديدٍ، وقالت:

- إخلص مش وقت هزار.. الكتور عايز أهله دلوقتي.

صمت عبد الله ونظر إليها بغرابة شديدة، وقال:

- إنتِ عارفة الساعة كام.. أتصل بيهم أقول لهم إيه؟

التفت عبد الله إلى ساعة الحائط المعلقة خلفه، وجد أن الوقت قُرب على الرابعة فجرًا.. وقبل أن ينطق بكلمة واحدة، بادرته الممرضة قائلة:

- إخلص يا عبد الله.. والله هقول لدكتور أحمد إنك بتتلكع.

كان الدكتور أحمد ما زال بغرفة ياسر، وما إن همَّ بالخروج حتى سمع صوت الممرضة تقترت، فتح الباب وجدها تقول:

- خلاص يا دكتور كلمناهم.. وجايين الصبح.

نظر لها الدكتور وأومأ برأسه بالموافقة قائلًا:

- طيب تمام.. خليكِ جنبه هنا ما تتحركيش، وبلغيني بأي حاجة تستجد على الحالة.

- حاضر يا دكتور



خـرج الطبيـب أحمـد مـن الغرفـة، وأغلـق البـاب خلفـه، تـاركًا المرضـة بجانـب يـاسر. جلسـت عـلي كـرسي بالغرفـة،

تنظـر إليـه تـارة و إلى الجهـاز الخـاص بوظائـف القلـب المعلَّـق بأعـلى الغرفـة تـارة أخـرى، يبـدو عليـه الهـدوء.. الآن قـد اسـتقرت الحالـة عـلى مـا يبـدو، أرجعـت رأسـها للخلـف قليـلًا عـلى الكـرسي حتـى غفـت عينهـا لحظـة، فجـأة اسـتيقظت عـلى صـوت خفيـض يهمهـم بكلـمات غـير مفهومـة، نظـرت إلى يـاسر، وجدتـه يحـرك شـفاه، وتلـك الهمهمـة تخـرج منـه.. قامـت وتوجهـت إليـه، حتـى اقتربـت منـه قليـلًا ومـا زال يهمهـم وعينـاه مفتوحتـان محدقًـا إلى سـقف الغرفـة بثبـات دون أدنـى حركـة.. تقدمـت أكثـر منـه، ثـم انحنـت رأسـها مُناديـة عليـه بصـوت خفيـض:

- «أستاذ ياسر»!

ولكـن دون ردٍّ اقتربـت أكثـر، وجـدت عينيـه قـد تغـير لونهـما، ثـم تعالـت الهمهمـة:

«قادمون قادمون»..

بـدأت ملامـح الرعـب عـلى المرضـة تظهـر ، وبصـوت مـتردد مرعـوب قالـت:

- أسـتاذ يـاسر، إنـت فايـق؟ هُمَّـا مـين الـلي جايـين؟ إنـت بتتكلـم بلغـة عربيـة فصحـى ليـه؟.. أسـتاذ يـاسر، طـب حاسـس بإيـه؟

لا يـأتي منـه أي رد، ظـل يهمهـم بهاتـين الكلمتـين، ورويـدًا رويـدًا تعالـت نبرتـه أكثـر فأكثـر.. وفجـأة بـدأت أضـواء الغرفـة تنطفـئ، حينهـا أيقنـت المرضـة أن هنـاك شـيئًا مـا يحـدث،

همت تغادر من الغرفة.. وقبل أن تتحرك، انتفض وأمسك بالممرضة بكلتا يديه وشدهما إليه حتى قرَّب وجهها من وجهه وقال بصوت مرعب:

- لن ينجو منكم أحد.

ثم تركها وهو يرتعش ويخرج من فمه مخاط لونه أزرق داكن، هرعت الممرضة إلى الطبيب أحمد بفزعٍ شديدٍ، وأبلغته بما حدث، توجَّه حينها إلى الغرفة بسرعة.. ودخل الغرفة..

لم يجد ياسر على سريره!



الحلقة الرابعة

الصمت القاتل

دخل الدكتور الغرفة، لم يجد ياسر بمكانه على سرير الغرفة القاطن بها منذ عام، اختفى ليس له أثر كأنه لم يكن هنا.

لا زجاج النافذة مكسور، الموجود خلف السرير ولا مخرَج من الغرفة إلا الباب. وقف الدكتور أحمد في ذهولٍ وشرودٍ كبيرٍ على باب الغرفة ثابتًا بلا أي حراك.. اندهاش وتفكير.. أين ذهب؟ كيف ذهب؟ وخلفه الممرضة تنظر للغرفة بخوفٍ ورعبٍ شديدٍ، ظلا يبحثان عنه بأرجاء الغرفة بلا أي دليل على وجوده، شيء لا يُصدَّق! هذا ما كان يرعبهم.. أكثر كيف اختفى وهو بهذه الحالة المرضية.. اختفى تمامًا!

نظر الدكتور بالرواق خارج الغرفة لم يجد أحدًا، ضربات قلبيهما تتصاعد داخل صدريهما. وهما يشاهدان الظلام يتهادى بالرواق متجهًا إليهما وسط صمت مريب.. كل شيء يختفي ببطء.. حتى استقر الظلام وصوت صريخ عبد الله من آخر الرواق يتردد وكأنه يسقط من ارتفاع شاهق.. ولا مجيب.. صمت قاتل.. والدكتور ما زال بمكانه ثابتًا، والممرضة بجواره متشبثة بذراعه برعب يكاد أن يوقف قلبها،

لا تفكير في صراخ أو عويل، الموقف أصعب من أن يعمل العقل ويخرج بفكرة.

الطبيب مناديًا بأعلى صوته:

- ياجماعة.. هو في إيه هنا؟ في أي حد هنا؟ ياعبدالله.. هو في إيه؟

ليس هناك إلا الصمت.. ترك الغرفة وتحرك بخطوات بطيئة، ينظر يمينًا ويسارًا وسط ذلك الظلام، فجأة سمع صريخًا وعويلًا.. أناس تتهاوى من ارتفاع شاهق.. وسط تسرُّب دخان أزرق ملأ الرواق بأكمله.. لا ترى منه حتى لون الظلام.. أمسكت الممرضة وتشبثت أكثر بالطبيب.. في فزع ورعب.

- هو في إيه يا دكتور؟

- ما أعرفش.. خليكِ بس معايا لغاية ما نوصل على الأقل لمكتبي.

الممرضة : حاضر.. حا.. . لم تكمل الممرضة الكلمة الثانية وانتزعت من بين يديه كأنها ورقة تتطاير بالهواءحتى سمع صوت صريخها يبتعد وهو عاجز بلا أي حراك.. تهوى هي أيضًا وكأنها تسقط من ارتفاعٍ شهيقٍ.. ظل ينظر الدكتور بكل اتجاه.. أصبح الآن وحيدًا.. لا أحد غيره..

زادت كثافة الدخان الأزرق.. ورائحة كريهة بدأت تنتشر بالمكان وهو ما زال واقفًا مكانه.. وفجأة صمت كل شيء..

إلا ضوضاء العقل.. ينتظر القدر.. ينتظر أن يتهاوى مثل الجميع.. ما أصعب انتظار القدر.. ما أصعب أن تنتظر نهايتك

وأنــت تعلــم كيــف هــي.. مــا زال الدكتــور بمكانــه متحجــرًا.. لا يعلــم كيــف الخــروج مــن تلــك المحنــة.. دخــان كثيــف يتزايــد ورائحــة كريهــة كرائحــة الأمــوات بالقبــور تقــترب منــه وتــكاد أن تخنقــه، فجــأة ســمع صوتــًا آتيــًا مــن آخــر الــرواق.. ضحــكات شريــرة تتعــالى.. ضحــكات مرعبــة.. حينهــا حــاول الدكتــور أن يــصرخ، ولكــن انقطــع صوتــه.. يحــاول الحركــة ولكنــه كالمشــلول.. بقــي متحجــرًا صلبــًا واقفــًا عــلى قدميــه كأنــه شــجرة وجذورهــا متشــعبة بباطــن الأرض.. يــصرخ بــكل مــا فيــه ولكــن بــلا صــوت.. وفجــأة ظهــر يــاسر أمــام الدكتــور واقــترب منــه..

قــد تغــيرت ملامحــه، وبصــوت هــادئ تتوغلــه نــبرة تحــدٍّ مرعبــة قــال:

- عندما تسمع صوت الصمت يأتيك من كل اتجاه..

وأنت ما تزال على قيد الحياة.. اعلم أنك المُختار.

الطبيــب برعــب ونبضــات قلبــه تتســارع.. لا حركــه ولا صــوت.. يســمع فقــط

حينها ظل ياسر أمامه بنفس تلك النبرة، وأكمل ياسر:

- حينها لا مفر.. والآن أيضًا لا مفر..

قالهــا بنــبرة مرعبــة قاســية وهــو يمــد يــده إلى عينيــه ليقتلعهــما كاملــة.. ظــل الدكتــور يــصرخ ويحــاول التخلــص، هــذا مــا يريــده عقلــه، ولكــن الحقيقــة لا صــوت ولا حركــة، يتــألم ولا يســتطيع التعبــير عنــه. كالمــوت، تــرى عالمــًا آخــر ولا تســتطيع الحديــث عنــه.. وحيــدًا.. أنــت فقــط وقــدرك المنتظَــر.. اختفــى يــاسر مــن أمامــه، والآن أصبــح لا يتكلــم ولا يتحــرك وأيضــًا أعمــى،

حينهـا تقـدَّم يـاسر مـرة أخـرى وألصـق وجهـه بوجـه الدكتـور والمخـاط الأزرق الداكـن يتسـاقط مـن فمـه.

- لا مفـر.. قادمـون ولـن نـترك أحـدًا.. ثـم ضرب قبضـة صـدر الطبيـب حتـى اقتلـع قلبـه مـن صـدره، سـقط عـلى الأرض، وجلـس يـاسر بجانبـه ماسـكًا قلـب الدكتـور وهـو ينبـض بـين يديـه ناظـرًا لـه بابتسـامة شريـرة.. وفجـأة.. هجـمَ عليـه شيء مجهـول حتـى أطرحـه عـلى الأرض.. وسـط تلـك الأدخنـة وقـال:

- اذهـب وأخـبِرهـم.. أنـه لا مـفـر.. لـن ينـجـو أحـد.. سـنأتـي نـقـتـلعـكـم كمـا اقـتـلعـت ذلـك الـقـلـب.

احترسوا من الصمت فجأة.

وضرب المجهـول بيـده بصـدر يـاسر، ولكـن يـاسر أمسـك بيـده دافعًـا لهـا بقـوة حينهـا تعـالى صـوت صفـير الأجهـزة بالغرفـة والدكتـور أحمـد واضعًـا يديـه عـلى صـدره ويـاسر ممسـكًا بهـا وذهـول مـن الممرضـة.

- مـا أعرفـش إيـه الـلي حصـل كان كويـس ومـرة واحـدة لقيتـه بيـصرخ وبيقـول كلام غريـب جـدًّا.

نظـر لهـا الدكتـور في حـيرة وطلـب منهـا أن تحضر المُهـدئ مـرة ثانيـة، طلـب الدكتـور منهـا أن تبلـغ إدارة المستشـفى بإبـلاغ دكتـور المـخ والأعصـاب والنفسـية والعصبيـة.. . لأن الأمـر أصبـح محـيِّرًا.

أصبحـت الآن السـاعة الثامنـة صباحًـا، وبـدأ زوَّار المـرضى بالوصـول مبكـرًا، ومـن بـين تلـك الـزوار شـابة في منتصـف العقـد الثالـث مـن العمـر، يبـدو عليهـا الثـراء جميلـة وكأنهـا ملكـة جمـال الكـون ذات ملامـح إسـبانية تتقـدم بـرواق الـدور الثـاني

تسير برشاقة وأناقة ورقيّ. حتى توقفت عند مكتب الدكتور أحمد، وهمت تستأذن بالدخول.. سمعت مناديًا من آخر الرواق:

- مدام رانيا.. اتفضلي هنا.

كان المُنادي هو الطبيب أحمد.. ذهبت ناحيته حتى وصلت إلى الغرفة ودخلت وأغلقت الباب خلفها، وجدت عددًا من الأطباء موجودين بالغرفة، وياسر مُغمض العينين في سبات.. نظرت لهم في حيرة متسائلة:

- هو رجع للغيبوبة تاني!

❊❊❊

غرفة« ٣٥»

بعد أن علمت رانيا بإفاقة ياسر من غيبوبته الطويلة توجهت إلى المستشفى في الصباح الباكر.. وصعدت إلى الدور الثاني لمقابلة الدكتور أحمد. وقبل أن تستأذن بالطَّرق للدخول مكتب الدكتور - سمعت مناديًا من منتصف الرواق مشاورًا لها بالتوجه إلى غرفة رقم «٣٥» القاطن بها ياسر.. ذهبت إلى الغرفة وأغلقت الباب خلفها، نظرت إلى ياسر وجدته مغمض العينين في سبات، فتساءلت مفتاجئة:

- هو دخل الغيبوبه تاني؟

أجابها الطبيب:

- لا هو فاق من الغيبوبة، لكن يبدو إنه هو بيدخل في نوابات صرع متتالية وعجيبة.. وبدأنا نشخص الحاله..

لكــن الــلي واضــح قُدَّامنــا دلوقتــي إن حالتــه كويســة ومســتقرة.. حالتــه غريبــة جــدًّا يــا مــدام..

- غريبة ازاي يعني؟ هيبقى فيه مشكلة هتأثر عليه؟

- لا مــش كــدا بالظبــط. بعــد الحادثــه حصــل ليــاسر نزيــف في المــخ وحاولنــا نوقــف النزيــف لكــن كانــت الغيبوبــة أسرع مننــا.. الطبيعــي إن بســبب النزيــف دا و في أي حالــة تانيــة يحصــل أذى في الأعصــاب والخلايــا الدماغيــة ويســبب ورم في الجمجمــة. ويــؤدي هــذا الــورم إلى ارتفــاع الضغــط في الــرأس بشــكل كبــير مما يســبب الغيبوبــة بشــكل يصعــب معــه اســتعادة وظائــف الدمــاغ.. لكــن مع جــوزك حصلــت أعجوبــة والدكاتــرة لحــد دلوقتــي مــش قادريــن يصدقــوا، ولا قادريــن نفهــم الســبب الحقيقــي الــلي خــلاه فــاق مــن الغيبوبــة بالطريقــه دي..

رانيا مقاطعة الطبيب:

- مش فاهمة هو في إيه بالظبط!

- بعــد مــا فــاق يــاسر.. حصــل لــه مرتــين نوبــات تشــبه نوبــات الــصرع.. وكان بيطلــع مــن فمــه.. رغــاوٍ مخاطيــة لونهــا أزرق غريبــة ليهــا رائحــة ســيئة للغايــة.. اضطريــت إني أســتدعي الدكاتــرة المتخصصــين بسرعــة عشــان أعــرف إيــه تشــخيص الحالــة بالظبــط. أخــدت عينــة مــن المخــاط وبعتهــا لأحســن معمــل في مــصر، وعملنــا أشــعة عــلى المــخ لقينــا إن المــخ ســليم وكأن مــا حصلــش أي ضرر ولا كأن كان في غيبوبــة مــن ســنة تقريبًــا، لكــن بعــد مــا تقاريــر التحليــل وصلــت اكتشــفنا إن المخــاط دا فيــه نــوع مــن

أنـواع الخلايـا السرطانيـة أول مـرة نشـوفه، والأغـرب إن جـوزك تحاليلـه السـابقة مـا ظهـرش فيهـا أي شيء يـدل عـلى أي احتـمال حتـى بوجـود سرطـان بجسـمه، واتفقنـا إننـا نبعـت التحاليـل والتقاريـر لأي مستشـفى بالخـارج، أنـا دخلـت عـلى كـذا مستشـفى بالخـارج. وبعـد البحـث لقيـت إن في حالـة مشـابهة ليـه بالظبـط في مستشـفى بألمانيـا «شـتوتجارت»، وراسـلناهم ووافقـوا عـلى الحالـة بتاعـة يـاسر، وعشـان كـدا طلبنـا مـن حضراتكـم إنكـم تحـضروا ونقـول لكـم الموقـف كامـلًا والقـرار بإيديكـم للسـفر.. ولكـن لـو قراركـم تسـافروا.. لازم تكونـوا هنـاك قبـل يـوم ١٥ الشـهر الـلي جـاي.. لأني عرفـت إن الدكتـور شـيجل هيكـون موجـود في نفـس التوقيـت دا.. الطبيـب شـيجل هـو الوحيـد في العـالم الـلي متخصص في عـلاج الحـالات النـادرة وبالتحديـد حـالات السرطـان النـادرة.

كانـت رانيـا تسـمع بتركيـز وإنصـات تـام.. ثـم توجهـت بسـؤال للطبيـب:

- إنتـو لحقتـوا تعملـوا كل دا إمتـى؟ إنتـوا لسـه متصلـين بينـا إمبـارح الفجـر؟

- يـا مـدام أنـا أول مـا شُـفت الحالـة في أول مـرة.. اسـتغربت جـدًّا حالتـه وإنـه فـاق مـن الغيبوبـة بالطريقـة دي.. ولمـا لقيـت الحالـة بالغرابـة دي كنـت لازم أتحـرك بـأسرع وقـت.

- طب يعني هو يقدر يسافر.. ولا إيه حالته؟

- هـو دلوقتـي نايـم مـن مفعـول المهـدئ.. لكـن هـو هيبقـى في مشـكلة صغـيرة لكـن إن شـاء الله مـش هتسـتمر كتـير..

الفـترة الكبـيرة الـلي قعدهـا في غيبوبـة أثَّـرت عـلى عضـلات الرجل وحصـل لهـا شِـبه دمـور.. هيحتـاج فـترة لغايـة مـا يبـدأ يمـشي مـع جلسـات عـلاج طبيعـي مكثفـة.. لكـن أجهزتـه الحيويـة سـليمة جـدا.

- خلاص أنا هبدأ أحضّر الأوراق.. وطيارة خاصة للسفر.

- أرجـو أنهـا تبقـي في أسرع وقـت ممكـن.. المهـم إنكـم تلحقـوا الدكتـور شـيجل هيكـون في المستشـفى بألمانيـا يـوم ١٥ الشـهر القـادم.. ينظـر الدكتـور بالتقويـم الميـلادى بهاتفـه،

ثم يكمل:

- يعني قدامكم ١٧ يوم وتكونوا هناك إن شاء الله.

- خلاص تمام.. قبلها هنكون هناك إن شاء الله.

تركتهـم رانيـا وخرجـت وأغلقـت بـاب الغرفـة رقـم« ٣٥» القاطـن بهـا زوجهـا منـذ أكثـر مـن عـام عـلى عجـل، وخرجـت من المستشـفى مسرعـة.. كان بانتظارهـا السـائق الخـاص بهـا.. ركبـت السـيارة وقالـت للسـائق:

- عم عيد.. عايزة أروح الشركة حالًا.

ثـم أمسـكت بالهاتـف المحمـول ووضعتـه عـلى أذنهـا.. وفي ذات اللحظـة كان يـرن هاتـف عـلى مكتـب فخـم راقٍ بغرفـة راقيـة جـدًّا ويحيطهـا زجـاج مـن كلِ جانـب، تـرى منهـا القاهـرة بأكملهـا.. يبـدو أن الارتفـاع شـاهقٌ جـدًّا، وكان يقـف أمـام الزجـاج رجـل يبـدو عليـه الثـراء. حـاد الملامـح وجهـه مـليء بالحيويـة يشـاهد القاهـرة بـشرودٍ واضعًـا يـدًا بجيبـه بافتخـارٍ ويـده الأخرى يمسـك سـيجارًا يخـرج منـه دخـان سـيجار كـوبيّ الصنـع. التفـت متحـركًا

تجاه المكتب على عجلٍ وكأنه ينتظر خبرًا ما، أمسك بهاتفه ورفعه إلى أذنه قائلًا:

- أيوه يا رانيا، إيه الأخبار؟

ثم صمت ليسمع بإنصات ونظراته ما زالت تنظر عبر الزجاج، يصاحبها نظرات الحزن والأسى وهو ما زال واضعًا يده بجيبه بافتخار شديد.. ثم رد قائلًا

- خلاص يا رانيا أنا مستنيكي.

ألقى هاتفه بعنف على المكتب وتوجه إلى كرسيه الفخم وضغط على زِر بجانبه، وفي أقل من ثانية، دخلت شابة باحترام شديد قائلة:

- أمرك يا مصطفى بيه.

- جهزي سفريه لألمانيا في أسرع وقت ورانيا هتيجي تجيب لك أوراق ياسر ابني عشان هيسافر معانا.

أومأت برأسها بالموافقة قائلة: حاضر يا فندم.

ثم خرجت من الغرفة.

***

بعد أسبوع..

تظهر بوابة إلكترونية تفتح ببطء مكتوب أعلاها «خروج».. «مدينة Stuttgart ترحب بكم».. يخرج منها ياسر على كرسي متحرك ورأسه مائلة على كتفه اليمين قليلًا، ويداه موضوعتان على ركبتيه، يبدو عليه الإعياء الشديد، غير مهتم بما يحدث حوله كأنه فقدَ عقله كالمجذوب..

ورانيـا زوجتـه ممسـكة بالكـرسي مـن خلفـه متوجهـة للسـير، وبجانبهـما والـده مصطفـى.. توجهـا إلى سـيارة بانتظارهـم، دخلـوا للسـيارة ثـم تحركـت إلى أن وصلـت إلى مبنـى مكتـوب أعـلاه:

«كلينكوم اشتوتجارت».

توقفـت السـيارة بالمـكان المخصـص لهـا وكان بانتظارهـم طاقـم ضيافـة كالمعتـاد دائـمًا بالمستشـفى، وسـط ترحيـب وابتسـامة مرحبة، قامـوا بمسـاعدة يـاسر حتـى أوصلـوه إلى الـدور الثـاني ووقفـوا أمـام حجرتـه المحجـوزة لـه، وهمّـوا يفتحـون بـاب الغرفـة، وعـلى كرسـيه ناظـرًا يـاسر إلى بـاب الغرفـة بـشرود ودهشـة، عندمـا لمـح يافطـة «الغرفـة« ٣٥»»





الحلقة السادسة

مارجريت

نظر ياسر للغرفة بنظرات الخوف والدهشة كأنه يعلم شيئًا لا يعلمه غيره.. لايستطيع الكلام.. فترة الغيبوبة جعلت منه أخرس لا يتكلم.. فقط صرخات وأنين طفل في بداية مهده، غير أنه أصبح كالمشلول لا يقدر على رفع يده حتى ثارت أعصابه أكثر عندما وجد أن غرفته تحمل رقم «٣٥» كما كانت في المستشفى بمصر.. وفي تلك الأثناء كانت رانيا ووالده مصطفى قد ذهبا لمكتب الدكتور الذي سيتولى الحالة متابعًا مع المتخصص شيجل.. تلك العائلة تتحدث الألمانية بطلاقة، شركاتهم عابرة للقارات مركزها الرئيسي بألمانيا.. جلسا يقصان عليه الأحداث من بدايتها، مرفقًا معها التقارير الطبية وكل ما يلزم لإيضاح الحالة بالتفصيل، ولكن هناك بالدور الثاني كان ياسر رافضًا دخول الغرفة يهمهم كطفل بعمر السنتين يصدر أول كلماته غير المفهومة فقط صرخات مكتومة بالرفض التام، يومئ برأسه رافضًا الدخول، حاولت معه الممرضات بلطفٍ وعطفٍ بالغٍ حتى يثنينه عن فكرته ولكن بلا أي جدوى..

صراخ ياسر المكتوم أصبح كأنين طفل مريض ولا أحد يعلم ما يريد، وفجأة يفتح باب الغرفة المجاورة وتخرج منها فتاة بشعر أسود كسواد الليل الكاحل ترتدي ملابس المستشفى، متسخة، شاحبة الوجة، وهالة سوداء دائرية حول عينيها الغامضتين مُمسكة بيديها حاملًا للمحلول موصول منه خرطوم رفيع أوله بزجاجة بلاستيكية بها سائل أبيض شفاف، وآخره مغروس في يدها تجره معاها أينما ذهبت. فتحت الباب في غضب وامتعاض، ثم نظرت لياسر وهم يحاولون إقناعه بالدخول، وقفت تشاهد بترقب ما يحدث أمامها.. وعندما فاض بها من الانتظار، ابتسمت بسخرية وذهبت إليه في هدوء وبطء وأزاحت الممرضة وسط محاولاتها.

وأمسكت بمقبض الكرسي المتحرك من الخلف، قائلة:

- فكرتني بنفسي أول ما جيت هنا كنت زيك كدا خايفة ومرعوبة، لكن بعد شويه عرفت إن لا مفر كلها أرقام ومكتوبة هيفضل دا رقمك. كله في وقته، ادخل.

ثم انحنت أكثر على أذنه وبصوت خفيض قالت:

- ما تقلقش، أرقامنا محفوظة من زماااااان..

كانت تتحدث معه وهي تدفع الكرسي من الخلف وهو في شرودٍ مُلتفت برأسه على قدر المستطاع، ينظر إليها بغرابة وصمت.. حتى دخل الحجرة باستسلام غريب، ثم تركته وهو بجانب سريره بمنتصف الغرفة ومدت يدها بالسلام، لا تعلم أنه ما زال يصعب عليه تحريك يديه كالمشلول، أدخلت يدها بيده عنوة وقالت بابتسامة:

- أنـا مارجريـت غرفـه رقـم ٣٤ -وأشـارت بيديهـا ناحيـة الغرفـة-، ثـم نظـرت بأرجـاء الحجـرة بإعجـاب كبـير وبنظـرات الحاقديــن.

وقالت

- غرفة ثريه Dasist NICHT fair.

ما زال ياسر ينظر لها بغرابة واندهاش ولكن دون رد..

حينهـا كانـت رانيـا ووالـده قـد أنجـزا كل الإجـراءات المطلوبـة وتوجهـا إلى المصعـد للذهـاب إلى الـدور الثـاني للاطمئنـان عـلى يـاسر بالغرفـة، ولكـن قبـل أن يتوجهـا قـال مصطفـى عـدلان:

- رانيـا، أنـا هـروح مقـر الشركـة بتاعنـا أخلـص شـوية شـغل، وبعدهـا هـروح عـلى البيـت. نظـرت لـه بتعجـب رانيـا وقالـت لـه:

- طب تعالى اطمن على ياسر وبعدها روح يا أنكل.

حرَّك رأسه يمينًا وشمالًا علامة على الرفض وهو يقول:

- مـش هقـدر أشـوفه بالشـكل دا.. إنـتِ مـا تعرفيـش أنـا بيبقى جوايـا شـكله إيـه لمـا بفكـر بـس في حالتـه.. كل الفلـوس والسـلطة الـلي معايـا وواقـف عاجـز عـن عـلاج ابنـي الوحيـد.. سـبيني يـا رانيـا وروحـي انتـي.. هـروح مقـر الشركـة وبعدهـا هطلـع عـلى البيـت.. وانتـي خلـصي وحصلينـي.

نظـرت لـه رانيـا بشـفقة وحـزن ثـم أومـأت برأسـها بلطـف وتركتـه مُتجهـة إلى غرفـة يـاسر بالـدور الثـاني.

وصلـت رانيـا إلى تلـك الغرفـة.. التـي كان قـد اسـتقر بهـا يـاسر

بمساعدة الممرضات المتواجدات معه على سريره، دخلت رانيا إليه مبتسمة بابتسامة الأمل المصطنعة وقالت بحب وود:

- إيه يا حبيبي انت ما صدقت دخلت الأوضة ونمت على طول كدا.. وبعدين شُفت حظك بقى، نفس رقم الأوضة اللي كانت في مصر.. دا فال خير على فكرة.

وياسر ناظرٌ لها بصمت بلا أي ملامح تعبيرية على وجهه.. كأنه إنسان مصنوع من خشب، ولا حتى يبدي اهتمامًا بأي شيء.. ثم أكملت رانيا كما هي بنفس الروح:

- عارف يا ياسر لما تخف إن شاء الله.. مش هنرجع مصر على طول.. نقعد في ألمانيا هنا شوية ونلفها كلها زي ما كنا بنعمل زمان.. فاكر ؟

حينها قطعها طرقٌ على باب الغرفة.. ولم يمهل الطارق أحدًا.. فُتح الباب ودخلت «مارجريت» وكأنها صاحبة الغرفة بمرح وكأنها تعرف ياسر من زمن بعيد.. وقفت رانيا قائلة بغضبٍ وامتعاض شديد:

- إيه يا آنسه في حد يدخل كدا على حد؟

مارجريت بكسوف شديد: أنا آسفة.. ما كنتش أعرف إن في حد معاه.

وهمت أن تخرج من الغرفة.. وفجأة، تراجعت بغرابة وتحولت ملامحها اللطيفة لملامح حادة، ناظرة إلى رانيا.. وهي تتقدم نحوها ببطء مُريب.. حتى توقفت أمامها وظلت تشتمها كالكلب البوليسي، ورانيا بيديها تبعدها باشمئزاز كبير، ولكن بلا أي فائدة.. حتى توقفت فجأة،

واستدارت كالإنسان الآلي.. وقالت وهي ناظرة لياسر:

- الآن قد اكتمل العدد.. قادمون بأسرع ما يكون.

ثم انهارت فجأة على الأرض بنوبة صرع مفاجئة غريبة..

وهي تخرج من فمها مخاط لونه أزرق داكن.. وسط صدمة من ياسر وذعر من رانيا.

❋ ❋ ❋

الحلقة السابعة

بداية النهاية

انهارت مارجريت فجأة على الأرض بغرفة ياسر بنوبة صرع وهي تخرج من فمها مخاطًا لونه أزرق داكن، وكانت رانيا واقفة أمامها بصدمة وذعر وخوف شديد، وكان ياسر على سريره كما هو حاله، ولكن تلك المرة تخرج من عينيه نظرات صدمة كبيرة وسط صريخ مكتوم.. هو يعلم السر يعلم وراء يحدث لها في تلك اللحظة، يشعر بألمها، يعلم جيدًا أن تلك الأحلام التي كانت تراوده ليست بأحلام.. يعلم أن وقت الصمت القاتل قد اقترب.. القدر قد أحكم قبضته.. وليس هناك منه مفر. خرجت رانيا مسرعة خارج الغرفة مُنادية على أي مُجيب.. وجدت طاقمًا كاملًا من الأطباء مسرعين ناحية الغرفة.. وكانت مارجريت ما زالت على الأرض كما هي بنوبتها ومخاطها وصراخ فاق الحدود، سمعه كل من بالدور بل خرج المرضى في ذعرٍ وفضولٍ من غرفهم باحثين عن ذلك الصوت المريب.. الرواق أصبح مليئًا بالبشر، منهم من تزاحم على الغرفة، ومنهم من يرقب من بعيد. دخل الطاقم

وأغلـق البـاب خلفـه، وبـدأ في محاولـة إسـعافها، ولكـن دون أي تقـدُّم.. طلـب طبيـب منهـم تحضـير حقنـة المُهـدئ وأعطوهـا المهـدئ بصعوبـة بالغـة حتـى هـدأت وتـم أخـذ عينـة مـن ذلـك المخـاط الأزرق التـي كان ينتظرهـا «شـيجل» أكثـر مـن شـهر.. أخرجـوا مارجريـت برويـة وهـدوء مـن غرفـة يـاسر متوجهـين بهـا إلى غرفتهـا المجـاورة لـه وسـط الزحمـة بالـرواق.. ورانيـا تنظـر لهـا بـكل شـفقة وحـزن، ولكـن الرعـب قـد بـدأ يغـزو شـعورها.. كلـمات مارجريـت ليـاسر بتلـك الطريقـة المريبـة، ونوبـة الـصرع المفاجئـة بهـذا الشـكل العجيـب جعلـوا رانيـا تفكـر في كل شيء.. مـاذا تقصـد باكتمـل العـدد؟ ومـن هـم القادمـون؟ وماهـو العـدد؟ رعـب وريبـة انتابـا رانيـا بقـوة مـن مارجريـت.. وأيضًـا لا يغيـب عنهـا ذلـك الذعـر المكتـوم بداخلهـا، والخـوف عـلى يـاسر. هـي قد علمـت الآن مـن هـي الحالـة المشـابهة التـي تحـدَّث عنهـا الدكتـور أحمـد بمـصر.. نظـرت إلى يـاسر محاولـة منهـا أن تنسـيه مـا حـدث بابتسـامة الأمـل المصطنعـة ويـاسر يحـدق بنظـره في ثبـات بمـكان انهيـار مارجريـت وكأنـه يـرى شـيئًا خفيًـا.

حاولـت رانيـا أن تلفـت انتباهـه أكثـر مـن مـرة، ولكـن.. حاولـت بـلا يـأس، رانيـا لم تفقـد الأمـل، وظلـت محاوِلـة بجهـد كبـير أن تثنيـه عـن تلـك النظـره المخيفـة ولكـن.. قاطعهـا طَـرقٌ عـلى بـاب الغرفـة.

- اتفضل.

دخلت الممرضة قائلة:



- نأسف مدام على إزعاجكم، ولكننا في احتياج إلى عينات دم من بروفيسور ياسر.

- لأ ما فيش مشكلة، اتفضلوا.

توجهت الممرضة إلى ياسر وأمسكت بذراعه لأخذ عينة من الدم.. وحين بدأت في غرس الحقنة بوريده فجأة انكسر السن المدبب بالحقنة وكأنه غُرِسَ بحديد صلب. لم تعطِ الممرضة أي انتباه، وحاولت مرة أخرى لعل الحقنة كانت معيبة، ولكن حدث ما حدث من قبل.. ذعرت الممرضة ومعها رانيا.. وبنظرات التعجب والدهشة ظلتا تتبادلان النظرات.. ياسر كعادته في صمت وشرود تام، غير واعٍ بالمكان أو الزمان، حالته أصبحت في تدهور مستمر ولا أحد يعلم ما به.. خرجت الممرضة بحيرتها متوجهة إلى الطبيب المساعد للمتخصص شيجل مسرعة طارقة على باب مكتبه، ثم أخبرته بما حدث، حينها كانت رانيا ما زالت في صدمة مما رأته.. شيءٌ لا يصدقه عقل. الآن قد علمت أن هناك شيئًا خفيًّا يحدث لزوجها.. الشرود يتملك ذهنها بعنف حتى استقرت وأخرجت هاتفها وهي تخرج من الغرفة طالبة والده تخبره بما حدث. ظل الهاتف يرن بلا أي ردٍّ من مصطفى عدلان والد ياسر. استمرت في الاتصال مرة تلو الأخرى، ولكن بلا أي رد منه، استدارت رانيا ناظرة إلى زوجها بخوفٍ ونظرة الأمل المصطنعة قد انطفأ بريقها وتبدلت..

بنظرات الحيرة والخوف والرعب خرجت رانيا مسرعة من

الغرفة بلا سلام أو كلام انصرفت بتلك النظرة المرعوبة وبهذا الشرود الذهني العميق، وفي طريقها للخارج، قابلت الطبيب المساعد لشيجل بالرواق، فسألها قائلًا:

- مدام رانيا.. رايحة فين؟ كنت عايزك ضروري.

نظرت له رانيا وهي بطريقها بلا أي اهتمام وأكملت طريقها للمصعد.. شرود جعلها كالمجذوبة.. وصورة وريد ياسر لا تفارق ذهنها أبدًا.. وكلام مارجريت أصبح له معنى الآن.. ولكن أي معنى؟ ماذا تعني بتلك الكلمات؟ أسئلة تحيط عقلها من كل اتجاه؟ تحاول أن تثني نفسها عن الخروج، ولكن شيئًا خفيًّا يدفعها للخروج، صورة مارجريت ووريد ياسر لا تفارقها.. خرجت من المصعد مسرعةً متجهةً إلى خارج المستشفى على عجل، غير منتبه لأي شيء من حولها، وحينما خرجت من بابها الرئيسي.. كانت سيارة مسرعة قادمة وكأنها قاصدة رانيا تحديدًا.. وقبل أن تنتبه.. كانت قد صدمتها بعنفٍ.

ارتفعت في الهواء بارتفاع ليس بقليل، ثم ارتطمت بالأرض فاقدةَ الوعي تمامًا، مغمضة العينين.. سمع المسعفون صوت فرملة السيارة.. أسرعوا ناحيتها، وجدوها على الأرض فاقدة الوعي تمامًا، أدخلوها المستشفى.. قام الأطباء بفحصها ولكنها قد دخلت في غيبوبة مؤقتة.. ظلت رانيا بغرفة فائقة العناية حتى فاقت من الغيبوبة بعد يومين كاملين فور أن استقرت حالتها بلا أي مضاعفات تُذكَر إلا كسر بالذراع..

ثــم تــم نقلهــا إلى الــدور الثــاني، وقبــل دخولهــا الغرفــة، وبآخــر الــرواق، كانــت مارجريــت واقفــة عنــد بــاب غرفتهــا كعادتهــا ممســكة بحامــل المحلــول.. ناظــرة بابتســامة الســخرية ونظــرات مرعبــة وهــم يدخلونهــا غرفــه رقــم١ »» وضحــكات مســتفزة شــامتة.

«هههههههه.. لقد اكتملنا الآن!»

❋ ❋ ❋

الحلقة الثامنة

العجز

ابتسامة السخرية والشماتة كانت واضحة على ملامح مارجريت بنظراتها المريبة المرعبة، وهي تراقب رانيا عند دخول غرفتها بنفس الدور، غرفة رقم ١.. ما هذا القدر؟ قدر يتلاعب بترتيبات نهاياتنا.. قدر يرانا من خلف ستار خفي ويضحك بسخرية على أفعالنا ولا يعلم شواهده إلا هي.. «مارجريت» التفتت حينها ودخلت إلى غرفة ياسر بلا أي استئذان وأغلقت خلفها الباب وهي تسير بطريقة مثيرة وبنظرات إغراء مقززة، ملامحها المريضة جعلتها كساحرة القرون الأولى، تلكما العينين الغامضتين تحملان رعبًا خفيًا، ونظرات تقشعر لها الأبدان حتى وصلت إلى جانبه وهو يحدق لها برهبة وغرابة شديدة، يحاول أن يبعد رأسه عنها، ولكن إصرار مارجريت أقوى من محاولاته الضعيفة.. انحنت بهدوء وبصوت خفيض قالت:

- تعلم بروفيسور ياسر أن زوجتك أصبحت الأولى الآن؟ أنا في قمة سعادتي.

ثـم استقامت مـن انحنائهـا واسـتدارت فجـأة وتغـيرت ملامحها إلى حــزن، وقالت:

- أنا حزينة بروف ياسر، لأنك تحبها.

النــاس بالمستشــفى يعلمــون أننــي مجنونــة.. ولكنــن لســت بجنــون أبيــك؛ لأننــي لم أنتحــر .

وبضحـكات استهزاء وسـخرية مسـتفزة وسـط صريـخ مكتـوم مــن يــاسر.. وهــو يحـاول النهــوض وسـط عجــز تــام منـه غـير قــادر حتـى عــن الـكلام.. وذلـك أصعـب مـا في الأمـر.. العجـز في شـدة الاحتيـاج.. ولكـن الأصعـب أنـه يعلـم جيـدًا أنهـا محقـة..

ولكـن أيـن المفـر؟ يعلم أنـه القـدر المحتـوم.. نظـرت مارجريت ليــاسر وهــي تســير بأرجــاء الغرفــة بطريقتهــا الاســتعراضية الإغرائيــة المسـتفزة.. حتـى توقفـت وقالـت:

- يبـدو عليـك القلـق حبيبـي.. لا تقلـق البدايـة لم تـأتِ بعـد. أصعــب مــا يكــون أن تنتظــر المــوت.. أن تحلــم وتــرى طريقــة موتــك وأنــت في عجــزٍ تــام.

وما زال ياسر وسط عجزه.. ثم أكملت:

- حبيبــي يــاسر، أنــا كنــت مثلــك، لا تقلــق، سيُسـمع صوتـك قريبًـا ولكــن عندمـا يريـدون هـم.

حينهـا طـرق بـاب الغرفـة ودخلـت ممرضـة المستشـفى.. ناظـرة لمارجريـت بغضـب قائلـة:

- إنتِ إيه اللي جابك هنا؟



- لا أبدًا كنت أطمئنه على زوجته أنها ليست بخير.

صراخ ياسر المكتوم أصبح أعلى.. العجز أصبح قاسيًا، حاول أن ينهض مرة أخرى، ولكن ضربه اليأس بشدة وانهار بين دموع تسيل من عينيه، وعجزه جعله بلا فائدة.. كم هي قاسية تلك الحياة، من حياة الرغد والصخب والثراء إلى عالم مجهول وسط عجز وانتظار الموت في أي لحظة.

وبابتسامة مستفزة لياسر وهي تخرج من الغرفة بهدوء.. وياسر ما زال بصرخاته المكتومة ومعه الممرضة محاوله تهدئته ولكن بلا أي جديد.. بدأت تظهر ملامح تلك النوبة التي أصابته بمصر من جديد.. هرعت الممرضة واستدعت طاقمًا طبيًّا كاملًا لتهدئته ولكن بلا أي جديد.. استمر ياسر حتى استحكمت النوبة منه.. أحضروا الحقنة المهدئة لإعطائها له.. وحين اقترب الطبيب وبدأ يغرس سن تلك الحقنة بوريده.. حدث ما حدث من قبل؛ انكسر السن وكأنهم يغرسونها بحديد صَلب.. النوبة أصبحت أعنف ولا هناك أي سبيل لتهدئتها.. الصوت أصبح أعلى والمخاط الأزرق يسيل من فمه بغزارة شديدة.. مارجريت ما زالت عند باب الغرفة تشاهد بترقب ياسر بنوبته تلك ومحاولات إعطائه حقنة أخرى، ولكن حدث ما حدث، ولكن هذه المرة ليس في وريده، كان برقبته.. ظلت مارجريت محدقة بياسر بلا أي كلمة.. ملامح صدمة على وجهها، أصبحت البلاهة هي الملامح الغالبة عليها.. وقفت بلا أي حراك مثل صنم في المعابد البوذية حتى صمتَ فجأة من نوبته..

مارجريت محدقة بياسر كما هي.. يبدو أنها تعلم شيئًا خفيًّا.. وقفت صامتة وحين كانت الممرضة تخرج من الغرفة، حاولت أن تثني مارجريت عن تلك الوقفة الصامتة ولكنها فجأة..

نظرت للمرضة وأمسكت برأسها بعنفٍ وقسوةٍ وقالت:

- قد تغيَّر الترتيب.. وياسر هو المُختار.

❋ ❋ ❋



الحلقة التاسعة

الكوكب الأزرق

مارجريت الحاقدة دومًا ممسكة برأس الممرضة بعنف وبعد ما خرجت من غرفة ياسر، وبنبرات الغموض، قالت:

- الترتيب اتغير.. وياسر هو المُختار.

كالمجذوبة تعيدها بنبرتها الغامضة دومًا في رواق الدور بأعلى صوت، وتارة تقول:

«الأقدار بتتغير.. وإحنا في الانتظار» استمرت مارجريت بتلك الكلمات في رواق الدور، تسير باتجاه غرفة رانيا.. والممرضات خلفها محاولات إثناءها عمّا تفعله ولكن بلا أي جدوى. وحينما وصلت إلى غرفة رانيا.. وقفت على بابها.. وتحدثت من خلفه قائلة:

- الموت قادم.. والصمت سوف يلجمك.

كانت رانيا داخل الغرفة تسمع بخوفٍ وهلع.. حاولت كثيرًا أن تخرج عن سريرها ولكن ضعفها لم يساعدها على الوقوف..

نظـرت بلهفـة إلى هاتـف المستشـفى بجانبهـا ورفعـت السـماعة تتصـل بمصطفـى عـدلان؛ فقـد بـدأ يراودهـا الشـك أنـه عـاد إلى مـصر مـرة أخـرى، وفي ذهنهـا ملامحـه اليائسـة مـن شـفاء ابنـه الوحيـد.. ذلـك الرجـل صاحـب الشـخصية الفولاذيـة، وصاحـب السـطوة والسـلطة في العديـد مـن البورصـات العالميـة، ليـس لـه نقطـة ضعـف إلا ابنـه يـاسر الوحيـد.. يـرن الهاتـف ولكـن دون رد.. ومارجريـت بالخـارج مـا زالـت تعيـد تلـك الكلـمات بجنـون كبـير.. حتـى صمتـت وعـادت أدراجهـا إلى غرفتهـا مغلقـة البـاب وراءهـا بعنـفٍ شـديدٍ.. وبداخـل الغرفـة كانـت رانيـا تقـوم بالضغـط عـلى زِر المسـاعدة الموجـود خلـف سريرهـا.. وسريعًـا حـضرت الممرضـة..

سـألتها بابتسـامته المألوفـة وكأنهـا جـزءٌ مـن ملامـح وجوههـن دومًـا مهـما كانـت الضغـوط: مسـاء الخـير يـا مـدام، أي مسـاعدة أقـدر أقدمهـا؟

- هي مارجريت مالها؟

- لا مـا تقلقيـش هـي كـدا مـن سـاعة مـا وصلـت المستشـفى، حتـى الدكتـور شـيجل فقـد الأمـل في علاجهـا، تحسي إنهـا غريبـة شـوية لكـن هـي طيبـة للغايـة.

- طيب ياسر في غرفة ٣٥ عامل إيه دلوقتي؟

وهيبدأ إمتى العلاج؟

- الدكتور شيجل فاضل له يومين ويكون هنا..

هو هيقرر كل حاجة، وفي انتظار تقارير العينة بتاعته..

- طيب ممكن أشوفه؟

- حضرتـك لسـه فايقـة مـن غيبوبـة، عـلى الأقـل بـس يومـين كـمان ونحـاول نخليـكِ تتحركـي وتشـوفيه.

نظـرت رانيـا إلى الممرضـة بـكل أسي وحـزن وأمـأت برأسـها بموافقـة المضطـر. رن هاتـف الغرفـة، رفعـت رانيـا السـماعة بلهفـة عسـى أن يكـون مصطفـى عـدلان.

- آلو..

صمتـت رانيـا فجـأة والصدمـة تتوغـل ملامـح وجههـا البريئـة حتـى انهـارت أعصابهـا وسـقط الهاتـف مـن بـين يديهـا، حينهـا نظـرت لهـا الممرضـة وأسرعـت نحوهـا تسـألها بلطـف:

- مالك مدام في إيه؟

لا رد من رانيا إلا أنها تقول بصدمة وتعجب:

- انتحـر.. أونـكل مصطفـى ينتحـر.. وبـدأت الدمـوع تتسـاقط مـن عينيهـا بغـزارة. الممرضـة لاتفهـم كلماتهـا، قالتهـا رانيـا بالعربيـة.. ثـم قالـت للممرضـة

- أنـا عايـزة أروح ليـاسر.. حاولـت الوقـوف مسرعـة والممرضة تثنيهـا عـن ذلـك ولكنهـا أصرَّت عـلى الذهـاب.. نـادت الممرضـة عـلى بعـضٍ مـن الطاقـم لمسـاعدتها وأحـضروا كرسـيًا متحـركًا لهـا.. وذهبـت إلى غرفـة يـاسر.. . حتـى دخلـت وجدتـه مغمـض العينـين في نـوم عميـقٍ.. حاولـت التحـدث.

- يـاسر.. أنـكل مصطفـى يـا يـاسر.. يـاسر أبـوس إيـدك اتكلـم.. كل الدكاتـرة قالـوا انـت مـا عندكـش حاجـة.. إرحمنـا، أبـوك يـا يـاسر مـات.. يـاسر.. حاولـت تحريـك الكـرسي بصعوبـة حتـى وصلـت بجانبـه.. وبيدهـا السـليمة ظلـت تضربـه عـلى صدره،

حتى استيقظ ياسر ناظرًا لها بثبات وملامح الغضب تظهر، محركًا رأسه تجاه رانيا بصمت.. ينتظر منها تلك الكلمة.

- أنكل مصطفى يا ياسر.. وهي تبكي بحرقة كبيرة.. حينها تأكد ياسر من كلمات مارجريت.. وأيقن تمامًا أنها وراء كل ما يحدث وبكل عزم وقوة.. صرخَ:

- مارجريييييييت

صرخة كادت أن تقطع أحباله الصوتية.. ومارجريت بغرفتها جالسة تهتز بهزات صغيرة للأمام والخلف، ولكن عندما سمعت صوت ياسر، توقفت عن هزاتها المجنونة واستلقت على السرير، وأخذت وضع الجنين في بطن أمه..

وهي تردد:

- قادمون.. قادمون.. قادمون

وياسر ما زال بصراخة على مارجريت بقوة ينادي.. ورانيا.. بدموعها ما زالت تبكي بشدة.. تجمعت الممرضات وطاقم الخدمة بالدور ناحية الغرفة.. منهم من يواسيها، ومنهم من يحاول تهدئتها.. والمرضى بدأوا في الخروج.. هرج قد حدث بالدور كاملًا.. إلا غرفة رقم ١٢.. دائمًا ما تكون هادئة.. يسكنها رجل في منتصف الخمسينيات لا يخرج إلا في صمتٍ وهدوءٍ، لا يتحدث مع أحد ولا يريد أحد التحدث إليه.. كلماته بحساب ونظراته ثاقبة.. يراقب، ويشاهد كل ما يحدث حوله بصمت وترقب ماكثًا بتلك الغرفة منذ عام تقريبًا.. مريض بسرطان القولون.. ملامحه جامدة لا يبدو عليها أي

تعبيرات.. وحيد دائمًا.. لا يفتح باب الغرفة إلا للسير صباحًا.. أو طلب شيء من الطاقم.. حجرته مليئة بالكتب.

يبدو عليه الاتزان والمعرفة.. يرتدي نظارة دائرية صغيرة، ولكن حين سمع صوت ياسر بتلك الصرخة خرج من غرفته وأخذ طريقه إلى ياسر بهدوء حاملًا بين يديه كتابًا ضخمًا.. وقف على باب الغرفة ووجهه كله إلى ياسر وقال: القبيلة الزرقاء..

نظرت إليه رانيا بتعجب وامتعاض قائلة:

- في إيه المستشفى دي كلها مجانين.. وبهستيرية شديدة: أنا عايزة أمشي من هنا. ياسر أنا عايزه أمشي من هنااا..

نظر ياسر بعد ما صمت، وقال:

- إنت عارف إيه؟

نظر الرجل للحاضرين:

- عايز أقعد معاك لوحدنا.

نظر ياسر إلى الجميع بهدوء مصطنع وداخله بركان غضب وحزن يملأ المدينة بأكملها.. تغيرت طباعه.. ليس هو ذلك الشاب الطائش الثري المرفه قاطن البارات والسهرات الحمراء.. محنة عظيمة وأحداث لا منطقية.. غيبوبة وأحلام.. ومارجريت ورسائلها المجنونة الغامضة.. انتحار والده بلا أي سبب فجأة.. مشاعر متشابكة وهو حتى الآن عاجز عن الحراك.. عجز يصاحبه الألم.. ما أصعبها محنة.. استأذن منهم بالخروج ثم نظر لرانيا.. وقال لها:

- اخرجي انتِ، حاولي تتصلي بخالد يجي في أسرع وقت.

نظرت له رانيا:

- حاضر.. بس أنا عايزة أمشي من هنا

أنا مش عايزه أموت يا ياسر

- سبينا دلوقتي.

بدا الحاضرون في الخروج، وكانت الممرضة المساعدة لرانيا قد أمسكت بمقبض الكرسي وأخرجتها، ولكن رانيا أصرت على أن تظل بخارج الغرفة منتظرة.. عاد الأمل قليلًا لرانيا مرة أخرى.. بعدما سمعت صوت زوجها بعد فترة صمت كبيرة.. فترة كانت صعبة أكثر من عام تقريبًا.. مشاعر متشابكة لا تدري تفرح أم تحزن.. أغلق الرجل الباب.. وتوجه ناحية الكرسي الموجود بجانب سرير ياسر، وجلس بهدوءٍ كبير وبين يديه ذلك الكتاب الضخم وضعه بجانب ياسر على سريره،

مكتوب على غلافه «الكوكب الأزرق»

❊ ❊ ❊

الحلقة العاشرة

المُختار ١

خرجت رانيا من الغرفة بعدما طلب منها ياسر ذلك.. أخيرًا تكلم ياسر، كان صامتًا كالأخرس طوال تلك الفترة العصيبة تكلم فجأة.. مشاعر متشابكه لرانيا.. اشتياق لصوته مع حزنٍ على أبيه جعل مشاعرها غير مفهومة.. خرجت وهي تبكي في هدوء.. امرأة راقيه حتى النخاع.. حينها دخل الرجل الذي يحمل كتابًا ضخمًا، ورانيا تنظر إليه بامتعاض، أصبحت تكره كل شيء بالمستشفى، دخل بهدوء يمشي بخطوات ثابتة واثقة حتى جلس على الكرسي جانب سرير ياسر وهو مثبِّت نظراته عليه، وياسر برأسه متوجه إلى تحركاته حتى وضع الرجل كتابه بجانبه، ثم أنزل نظره على الكتاب، لمح غلاف الكتاب مكتوبًا عليه الكوكب الأزرق. حينها كان الرجل ما زال ينظر إلى ياسر نظرات بلا أي تعبير.. وقال:

-أنا «مايكل ماثيو» عالم في علوم ما وراء الطبيعة.

وبقى لي عشرين سنة منتظر المختار.. ولما سمعت كلمة من مارجريت وقالت الترتيب اتغير وهي خارجة من غرفتك..

عرفت إنك انت المختار.. ولما بحثت عنك اتأكدت إنك انت المُختار، بس كنت منتظر آخر علامة.

وحصلت.. عشان كدا عايزك تسمع الحكاية كلها من الأول..

قاطعه ياسر بعصبية شديدة:

- المُختاااار.. المُختاااار.. إيه الموضوع بالظبط أنا مش فاهم حاجة.. كل حاجه حصلت لي فجأة.. الحادثه فجأة لقيت عربية وكأنها خرجت من تحت الأرض.. أحلام غريبة بتحصل لي.. مارجريت وكلامها.. أبويا.. ثم أدار رأسه في صمت لحظات محاولًا أن يتمالك نفسه.. وأكمل:

- أنا مش فاهم في إيه؟

كان ينظر له مايكل ماثيو بإنصاتٍ شديدٍ وتركيزٍ، ثم قال البروفيسور ماثيو:

- هتفهم كل حاجة، بس قبل ما تسمع لازم تركز.. اللي هيتقال صعب حد يصدقه لكن هو ده اللي حصل.. ثم نهض فجأة وانحنلا قليلًا والتقط الكتاب من جانب ياسر وبدأ يسرد ما بالكتاب وكأنه يقرأ بصوتٍ عالٍ. في الكون توجد ثقوب سوداء مظلمة تتمتع بقوة جذب هائلة تبلغ حد إحداث خلل في الزمان والمكان وتنقل الأجسام إلى عوالم جديدة ومختلفة تمامًا! أما على الأرض فلا يكاد تراث الشعوب يخلو من مواقع مسكونة يدخل منها الجان والأشباح والمخلوقات الغريبة. وهذه المواقع تعمل كبوَّابات زمنية ومكانية، مَن

يدخلها يختفي فيها، تلك مثل غموض برامودا.. ولكن بعد أبحاث عديدة استقر العلماء على شيء مهم، ولكن تم إخفاؤه لأنه الاكتشاف الأكثر رعبًا على مَر العصور والتاريخ.. أشياء تبدو أنها غير منطقية، ولكنها الحقيقة.

قبل حوالي ٦٥ مليون عام،كان هناك كويكبٌ يقال إنه من عالم آخر غير ذلك العالم الذي نعلمه، خرج عن مداره بلا أي سبب واضح حتى اقترب من الثقب بالصدفة إلى أن التهمه بقوة ونقله، إلى إن وصل إلى مجرتنا تلك.. وفجأة وبلا أي سابق إنذار اصطدم بالأرض كاملًا بلا أي انفجار، وهذا منافٍ تمامًا للعلم؛ لأن علم الفضاء يثبت أن أي جسم يقترب من الغلاف الجوي بالكرة الأرضية وبفعل الاحتكاكٌ الناتج عن سرعته والغلاف الجوي، يتفتت وينفجر قبل الاصطدام، ولكن ما حدث كان الأغرب، اصطدم الكوكب بسطح الأرض وأحدث فوهة قُطرها ١٨٠ كيلومترا، وسقط على الأرض بسرعة ٢٥ كيلو مترًا في الثانية. أحدث هذا الاصطدام الكوني الهائل فوهة كبيرة، ونشر كميات كبيرة من «الأيريديوم».. كما نثر الاصطدام غبارًا كثيفًا جدًّا غطى حوالي نصف الكرة الأرضية وحجب الشمس عن سطح الأرض لسنوات طويلة، وقال إن من أسباب انقراض الديناصورات كان ذلك الكوكب وغازه السام، وكانت تلك المنطقة في الأصل يسكنها نوعٌ من أنواع الجن يسمى «الجن الناري».. كانوا متكبرين ويعتبرون أنفسهم أفضل الأنواع وهم أصلاب جدًّا وقدرة تحمُّلهم كبيرة أغلب هذا النوع من المقاتلين الأشداء وهم يمتازون بسرعة عالية

وبتحــرُّك سريــع في الإفــلات والانــزلاق وخاصــة في الحــروب بينهــم، أمــا الطـيران في هــذا النــوع سريــع جــدًّا وبــكل الاتجاهــات وخاصــة الطـيران العمــودي ويســكن هــذا النــوع في الأوديــة الحــارة وكهــوف البراكــين وأفواههــا، حينهــا اســتمر الكــون في التغــيُّر بصــورة مســتمرة حتــى انقرضــت الديناصــورات.. في عــام ١٩٠٨ كان البروفيســور «مكاييــل البــا» العــالم الأســطوري في علــم مــا وراء الطبيعــة أثبــت أن ذلــك الكوكــب كان يعيــش بداخلــه مخلوقــات فضائيــة فاســدة متطــورة جــدًّا تفوقنــا بملايــين الســنوات، وأطلــق عليــه «الكوكــب الأزرق» وأوضــح أن تلــك المخلوقــات الســبب الرئيــسي في انقــراض الديناصــورات، وليــس الغــاز المزمــعَ عنــه مــن قبــل. وأثبــت أن تلــك البقعــة التــي ســقط بهــا الكوكــب الأزرق يســكنها قبيلــةُ مــن الجــن، وأن تلــك المخلوقــات قــد تواصلــو مــع عــالم الجــن واســتقطبوا منهــم القبيلــة الأقــرب منهــم «الجــن النــاري».. وبعدمــا انتهــوا مــن إنهــاء أي صــورة مــن صــور الحيــاة عــلى الأرض.. مكثــوا ســويًّا بباطــن الأرض ســنوات طــوال حتــى حــدث الاندمــاج، وبســببه تــم خلــق جيــل جديــد منهــم ولا أحــد يعلــم كيــف تــم اندمــاج تلــك المخلوقات مــع الجــن النــاري إلا أنهم أصبحــوا قبيلــة واحــدة يرأســها ملــك واحــد، وأســماها البروفيســور «القبيلــة الزرقــاء» هنــا قاطعــه يــاسر بملــل كبــير:

- أيــوه أنــا بقــى وكل الــلي حصــل لي دا مالــه ومــال دول، إنــت بتكلمنــي عــن كائنــات فضائيــه أساسًــا مــا حــدِّش شــافهم ولا عرِفهــم كلهــا أبحــاث واســتنتاجات وبــس.

نظـر لـه البروفيسـور بـلا أي اهتـمام وكأنـه لم يسـمع وأكمـل سرده قائــلاً:

- هــذا مـا وصـل إليـه البروفيسـور «مكاييـل ألبـا».. وعندمـا نــشر البحــث اختفــى البروفيســور في ظــروف غامضــة ولا أحــد يعلـم مكانـه حتـى الآن، حينهـا أغلقت القضيـة والأبحـاث. بلا أي سـبب معـروف، ولكـن عـام ١٩٧٠ فتـح مـرة أخـرى تلـك القضية عـلى يـد باحـث آخـر يدعـى «باسـيو كابيلـو».. بعـد مـا انتـشر في ذلـك العـام ظواهـر كونيـة غـير مفهومـة، ومـا زاد الأمـر إثـارة أن حدثـت اختفـاءات لأشـخاص بصـورة مريبة مـن كل بقـاع الأرض ويجدونهـم بعـد ذلـك بفـترة مـن الوقـت بجانـب الفوهـة التـي سـقط بها الكوكـب مـن قبـل منزوعـة قلوبهـم وأعضاؤهـم جميعًـا. وكان مـن ضمنهـم زوجـة «باسـيو كابيلـو» وهـذا مـا دفعـه إلى فتـح ذلـك البحـث مـن جديـد.. حينهـا اسـتقرت الوكالـة الفضائيـة وبعـد فـترة طويلـة مـن الإقنـاع في أن ترسـل طاقـمًا مـن الباحثـين المتخصصـين تحـت قيـادة باسـيو وتـم بالفعـل إرسـال مجموعـة أولى بحثيـة، ولكـن لم يعـد منهـم إلا واحـدًا فقـط.. ولا أحـد يعلـم كيـف عـاد.. عـاد في حالـة مـن الصمـت التـام اسـتمرت أكثـر مــن ثلاثــة أعــوام، وذات يــوم، اتصلــت زوجتــه بباســيو تحكــي لـه أمـرًا قـد حـدث، أخبرتـه أنّ زوجهـا بعدمـا عـاد، حدثـت لـه نوبــات صرع هيســتيرية وأخــرج مــن فمــه مخاطًــا أزرق داكنًــا، ذهـب باسـيو حينهـا مسرعًـا إليـه وقـام بأخـذ عينـات مـن ذلـك المخـاط وأرسـلها إلى المعمـل للتحليـل، وقبـل أن تظهـر النتائـج تحـدث الناجـي الوحيـد فجـأة وطلـب باسـيو للمقابلـة..

حينها قال لباسيو إن هناك قبيلة.. لونها أزرق داكن.. لا ترى منهم إلا قائدهم، يسلبون عقول البشر ثم يستدرجونهم بلا وعي ثم يتغذون على أعضائهم، كنا في الماضي نرى ونسمع عن كائنات فضائية فقط.. وأشباحًا وجنًّا فقط.. ولكن ما حدث.. كان أكثر رعبًا.. أصبح الجن والكائنات الفضائية جنسًا آخر، خواص الجان وتطوُّر الكائنات الفضائية فتاكون.. ليس لديهم أي شفقة أو رحمة.. يأتونك من كل جانب وفي كل حين تعرفهم عندما يصمت كل شيء، رائحتهم كرائحة الموتى.. وإن اختاروك لن يفلتوك.. وتركوني حتى أبلغكم أنهم قادمون.. ولن يفلت أحد منكم.. وسنقتلع أعضاءكم أحياءً..

تلك كانت آخر كلمات قالها لباسيو، وبعد شهرين اختفى في ظروف غامضة أيضًا ولم يتم العثور عليه.. ظل باسيو مستمرًا بأبحاثه حتى اكتشف أن كان هناك بالماضي حرب بين فصيلتين من الجان استمرت ملايين السنين، ولكن عندما أصبحت الغلبة للجن الترابي الفصيلة الأنقى نسبيًّا تم استدعاء ذلك الكويكيب من قِبَل قبيلة الجن الناري لعلمهم أن تلك الكائنات أكثر تطورًا وذكاء وبعد فترة من الوقت تحولوا إلى جيلٍ جديدٍ فريدٍ من نوعه اندمجا وأصبحا نوعًا جديدًا من الكائنات الأسطورية يملك الرعب والذكاء والتكبر والسرعة والتطور، واستمرت تلك المعارك حتى خلق الله الإنسان، حينها أصبحت المعركة على من هو الأفضل، وعندما فضَّل الله الإنسان على باقي المخلوقات، ومع تكبُّر الجيل الجديد من الجان الناري أصبح العداء أشد للبشر. وكانت فصيلة الجن الترابي يسكن الأرض وباطنها ويستطيع هذا النوع التنقل في

باطـن الأرض بسرعـة عجيبـة مـن خـلال الشـقوق والفراغـات ويسـتطيع اسـتخدام أنفـاقٍ خاصـة بهـم وبأطـوالٍ عجيبـة داخـل الأرض وهـذا النـوع يعتـبر مـن أقـصر أنـواع الجـن مـن حيـث الطـول بـل هـم أقـزام، وهـم أكثـر أنـواع الجـن احتـكاكًا بالإنسـان، كان أكثـر هـدوءًا ومحبـة للبـشر، حينهـا أصبحـت القبيلـه الزرقـاء أكثـر عنفًـا وقـوة وسـطوة، وحاولـت كثـيرًا فصيلـة الجـن الـترابي التصـدي لهـم بشـتى الطـرق إلا أنهـا كانـت تبـوء بالفشـل، وبعـد فـترة مـن الحـروب الخفيـة..

اسـتقر ملـك الجـان الـترابي عـلى أن يسـتعين ببعـض مـن بنـي آدم وأطلقـوا عـلى أنفسـهم القبيلـة البيضـاء، حـروب خفيـة لا يعلـم عنهـا أحـد إلا مـن يختارونـه هـم.. والآن قـد بـدأت تـدق طبـول المعركـة الأخـيرة.. «معركـة البقـاء».

يسـمع يـاسر برعـب ودهشـةٍ، يحـاول أن يقنـع نفسـه أن مـا يقـال مـن وحـي الخيـال أو روايـة مـن روايـات الرعـب ليـس إلا.. ولكنه فجأة قال:

- يعنـي إيـه المختـار؟ وليـه أنـا بالتحديـد؟ وهعمـل إيـه؟.. دا أنـا مشـلول.. ممكـن تفهمنـي مـن غـير الكتـاب دا وكلمنـي عادي.

البروفيسـور: عـالم الجـن زي عالمنـا، فيـه الـشر وفيـه الخـير، ودايـمًا بيبقـى فيـه حـرب خفيـة بـين الاثنـين، وكل واحـد فينـا جـوَّاه نفـس الحـرب دي.. فيـه منـا معركتـه انتهـت وفيـه منّـا لسـه في قلـب المعركـة النفسـية.. وانـت معركتـك انتهـت والخـير الـلي جـواك خـلاك المُختـار.. وانـت يـا يـاسر جـواك لسـه حاجـات إنـت نفسـك هتسـتغرب إنهـا موجـودة جـواك..

ببساطة كدا الحرب على البقاء، وفي عقيدة الحروب كل طرف بيستخدم اللي يقدر يكسب به الحرب.. الجن الناري استخدم مخلوقات الكوكب الأزرق، والجن الترابي اختار إنه يبقى مع البشر.. وقبل ما يختاروك، اختاروا..

مصطفى عدلان..

❊ ❊ ❊

الحلقة الحادية عشرة

رانيا.. الأول

كل منا بداخله تلك المعركة بين الخير والشر، البعض منّا ما زال في تلك المعركة، والبعض الآخر قد انتهت معركته وأصبح طريقه واضحًا. منهم كان مصطفى عدلان.. نظر حينها ياسر إلى البروفيسور مايكل باندهاش كبير، شيء لا يُصدَّق.. ولكن داخل ياسر أسئلة وحيرة كبيرة.. صمت قليلًا، ثم قال:

– طب القبيلة دي ازاي بتستدرج ضحاياه..

– بالخيال.. قبيلة قوية لا يضاهيها أحد.. ممكن بين أحلامك.. أوهامك.. بتجيلك في أي وقت.. بس تغمض عينك.. تبقى معاهم.. يعشقون الصمت.

– طب يعني إيه المُختار؟ وليه أنا بالتحديد؟

– قُلت لك قبل كدا.. إن كل حاجة في الكون متقسمة اتنين.. خير وشر حتى النفس البشرية جواها النصين.. فيه اللي خيره انتصر على شره وفيه اللي لسه بيعافر، وفيه اللي استهواه الشر وكمله.

قاطعه ياسر بغرابة:

- بس أنا مستغرب إنهم اختاروا واحد زيي، أنا عمري ما عملت خير في حياتي أصلًا.

صمت البروفيسور بلا أي رد وهو يحاول أن يهرب بنظراته من ياسر وكأنه يخفي شيئًا دفينًا.

حينها كانت رانيا بالخارج ما زالت متمسكة بمكانها لا تفارقه، منتظرة كما هي دائمًا في حياة ياسر.. دائمًا ما تنتظره.. بحب ولهفة وشوق دائمًا.. ولكن تلك المرة أصعب من أي مرة مضت من قبل.. التوتر أصبح صديقها الآن.. وما زاد التوتر أكثر، خروج مارجريت من غرفتها، متوجهة بسرعة كبيرة إلى رانيا، ثم جثت بجانب كرسيها المتحرك، وتقربت من أذنها وقالت بصوت مريب خفيض، وهي تنظر إلى باب غرفة ياسر، وبضحكتها المرعبة:

- جوزك هيموت زي ما مات أبوه.. هيموت.. المختار هيموت.

صرخت رانيا صراخًا شديدًا.. جعلت الرواق كله يجتمع حولها والممرضات تثني مارجريت وتبعدها عن رانيا، ولكنها استمرت بتلك الكلمات حتى خرج البروفيسور مايكل بعنفٍ واتجه نحوها واقترب منها حتى أصبح ملاصقًا لوجهها قائلًا بنبرة الواثق:

- إن المختار قد وصل. وجاي لكم في أسرع وقت.. النهاية على الباب.

زمجرت مارجريت بعنفٍ، حاولت الإفلات من الممرضة

لم تستطع.. فجأة تبدلت ملامحها، وتوقف الوقت وأصبح الجميع كالتماثيل الحجرية، وأفلتت من يد الممرضة، واقتربت من البروفيسور بهدوء حتى كاد وجهها يلتصق بوجهه.. ثم ظلت تدور حوله في دوائر بطيئة وهي ناظرةً له، تشتم رائحته بغرابة، وبصوت شيطاني قالت:

– وقت الصمت آتٍ.. أبلغهم أنت أن قلوبهم ستصبح غذاءنا.. ظل البروفيسور ينظر لها بلا أي حراك، لا يستطيع حتى الكلام.. ينظر بعينيه في كل اتجاه.. همَّت مارجريت بضرب صدر البروفيسور في حين سُمع صوت من غرفة ياسر يزمجر بقوة.. تتعالى الزمجرات والصيحات بصوت عظيم.. وفجأة.. خرج ياسر.. بسرعة متجهًا إلى مارجريت الشيطانية ودفعها بيديه حتى ارتفعت وارتطمت بالأرض على وجهها بقسوة، والبروفيسور ما زال بمكانه ثابتًا بلا أي حراك.. ورانيا كالحجر بالكرسي والممرضة صلبة كتمثال من معدن.. صورة متوقفة.. وقفت مارجريت مرة أخرى.. محاولة أن تتمالك نفسها من تلك الضربة القوية، واتجهت مسرعة باتجاه ياسر.. ولكن كانت مهارة ياسر أعلى، وبهدوء أفلت منها بحركة بسيطة جعلها تصطدم بالحائط خلفه.. استدارت مرة أخرى، ولكن تلك المرة توجهت إلى رانيا وأمسكت برقبتها من الخلف. وهمَّت بضرب صدرها لتقتلع قلبها ولكن كان ياسر أذكى وكأنه محترف معارك من قديم الأزل.. ضرب الكرسي المتحرك حتى اصطدم بحائط نصفه الأعلى زجاجي.. سقطت مارجريت خلفه بعد أن اصطدمت وانكسر الزجاج، أسرع ياسر حينها إلى رانيا وأدخلها غرفته،

ثـم توجـه إلى مارجريـت مـرة أخـرى.. وقـال لهـا وهـي عـلى الأرض.. وهـو ناظـر لهـا مـن أعـلى:

- أنـا زوبعـة الأبيـض.. ملـك القبيلـة البيضـاء.. اذهـب وأبلغهـم أن المختـار قـد أتـى.. وسـيأتي إليكـم قريبًـا.. في عقـر داركـم.

حينها كانت مارجريت تنظر له بحقد وكراهية شديدة..

وفجـأة ابتسـمت بخبـثٍ شـديدٍ، ابتسـامة الواثـق مـن الانتصار، حينهـا تعـالى صـوت صرخ أُنـاس وكأنهـا تتهـاوى مـن ارتفـاع شـاهق والدخـان الأزرق يتسرب مـن كل اتجـاه.. مـع ظـلٍّ يسـير بهـدوء مـن أول الـرواق.. وصـوت أنفـاس غضـب تقـترب أكثر إلى مـكان وقـوف يـاسر.. ظـل يـاسر يلتفـت بـكل اتجـاه ومـا زالـت الأصـوات تتعـالى.. صراخ النـاس لا ينقطـع.. هـذا مـا كان يحلـم به يـاسر دومًـا.. وفجـأة صمـت كل شيء، وتلـك الأنفـاس الغاضبـة أصبحـت أقـرب مـن وجـه يـاسر كلهيـب نـار تحرقـه.. رائحـة كريهـة تجـبر يـاسر عـلى الامتعـاض..

حينهـا أصبـح يـاسر بمكانـه بـلا أي حـراك.. واختفـى كل شيء، حتـى البروفيسـور أصبـح وهمًـا.. وتغـيرت ملامـح المـكان إلا بـاب غرفتـه ظـل يتباعـد حتـى أصبـح بابًـا بـلا حوائـط، والـرواق أصبـح أرضًـا سـوداءَ مهجـورة. ومارجريـت تنهـض مـن عـلى الأرض في هـدوء بنظـرات التكـبر والتعـالي والحقـد المرعـب، حينها بـدأ الدخـان يتلاشـى شـيئًا فشـيئًا، ويـاسر واقـفٌ أخـرس ملجـمًا لا كلام ولا حركـة.. ثابتًـا كالأصنـام.. ونظـرات التحـدي بـدت واضحـة حينـما بـدأت تظهـر ملامـح صاحـب الصمـت القاتـل..

مـن خلـف ذلـك الســتار الدخـاني الأزرق، ظهـر ذلـك الرعـب متجسـدًا في أبشـع صـورة يراهـا يـاسر في حياتـه، بـل وحتـى خيالـه الواسـع تخيـل أن تكـون تلـك القبيلـة بالقبـح والسـوء الـذي رآه.. ملامـح توقـف القلـب.. وجـه شـيطاني مخيـف، ثـلاث طبقـات أسـنان بـلا شـفاة. لا يتحـدث إلا بالخواطـر العقليـة؛ لذلـك يعشـقون الصمـت، عينـان بـلا حدقتـين.. يبـصرُ ولا يـرى. رأس تـرى منهـا شرايـين بلـون أزرق داكـن..، أظافـر بـلا أصابـع.. لا يقـف عـلى أرجـل طائـر كالسـحرة، لا أذن ولا أنـف.. جسـم مطاطـي شـفاف تـرى أعضـاءه الداخليـة منهـا، رائحتـه كرائحـة الموتـى، بقـع العفـن عـلى كل منطقـة بوجهـه، يتسـاقط ببـطءٍ مـن وجهـه مخـاط أزرق سـميك.. يـرى يـاسر كـا هـذا وهـو كالأصنـام لا حركـة.. ولا كلمـة، ولكـن تبـادل نظراتهـم تبـدو وكأنهـا حديـث لا أحـد يعلمـه غيرهمـا.. صمـتٌ أصبـح قاتـلًا.. وفجـأة التفـت ذلـك المخلـوق برأسـه إلى غرفـة يـاسر وبـدأ يتحـرك نحوهـا ويـاسر بأنـين مكتـوم يـصرخ، بداخلـه يعلـم مـا سـيفعله.. عينـاه تتوجهـان معـه.. لا يسـتطيع حتـى تحريـك رأسـه.. ومارجريـت مبتسـمة بكراهيـة شـديدة.. وهـي تشـاهد ذلـك العجـز مـن يـاسر.. دخـل الغرفـة المخلـوق، كانـت رانيـا بالداخـل جالسـة عـلى كرسـيها كـما هـي بـلا حـراك ولا وعـي..

اقـترب منهـا أكثـر.. ومارجريـت في نفـس اللحظـة تقـترب مـن يـاسر، وأنفهـا تلاصـق رقبتـه، ثـم قالـت:

- قلت لك إنها الأولى..

أنين ياسر المكتوم أصبح لا يفيد.. دموع تتساقط في ثبات منه..

يعلم جيدًا المصير حتى ذلك الملك.. ملك القبيلة البيضاء لا يقدر على الحراك.. القبيلة الزرقاء أصبحت أقوى، لا أحد يقدر عليها.. حتى المختار.. أصبح عاجزًا أمام واحد فقط منهم.. الآن فعلًا لا مفر.. هو الموت لا محالة.. لعبة القدر.. أمسكت مارجريت برأس ياسر بهدوء قاتل، وحاولت أن تغير اتجاهها إلى غرفته حتى يشاهد رانيا بين يد المخلوق الشيطاني.. ما كل تلك الكراهية والحقد! العجز هو الألم في أبشع صوره.. رفع المخلوق أظافره وأقحمها بصدر رانيا حتى اقتلع قلبها بين يديه، وياسر بدموع الصمت وصراخه المكتوم ينفجر.. ضحكات مارجريت المستفزة تتعالى.. وبنبرات الشماتة قالت:

- كانت الأولى.. وها قد بدأ العد.

❋ ❋ ❋

الحلقة الثانية عشرة

الصدمة

ياسر بأنين الألم يشاهد زوجته وهي بين يدي ذلك المخلوق وقد انتزع قلبها أمام عينيه وهو عاجز حتى عن الصراخ.. قلب هناك مُنتزع، وقلب هنا يتمزق وذكريات تمر أمام عينيه كفيلم وثائقي يشاهده بصورة مهزوزة من تلك الدموع التي تنهار بلا توقف في صمت، أصبح الأنين والصراخ لا يفيدان في شيء.. ماتت رانيا بلا أي مبرر أو شفقة، إلا أن قدرها وضعها معه.. القدر.. وما أصعب أن يكون القدر بتلك الطريقة وسط عجز أليم.. تأنيب الضمير قاتل.. شعور لا يُوصَف وكأنها سكينٌ تسلخ جلده بلا رحمة وهو على قيد الحياة، شعور مميت، حتى التعبير عن ذلك الألم قد سُلِبَ منه وأصبح لا يُوصَف، حينها كانت تلك الشيطانة المتمثلة في مارجريت لا تترك تلك اللحظة هباءً.. زادت الألم بألم أشد وأعنف شماتة وضحكات خبيثة وهي جنب أذنه وما زالت ممسكة برأسه وهو يشاهد قلب زوجته بين أسنان ذلك المخلوق الشيطاني المرعب، وها هو الآن ينبض بأحشائه بلا أي شفقة أو رحمة.. العقل الآن

توقـف عـن التفكـير.. العقـل.. ومـا فائـدة العقـل مـن الأسـاس؟ إنهـم يسـلبونه ويجعلونـه بـلا طمـوح أو فكـر، يسـلبون منـك كل شيء رويـدًا رويـدًا وبالنهايـة يقتلعـون روحـك.. حتـى الباقـي مـن الأمـل أصبـح أنينًـا مكتومًـا داخـل العقـل، أصبـح الآن لا يحتمـل أكثـر مـن ذلـك، يـاسر الآن بـلا أي عقـل، أصبـح عاجـزًا بإرادتـه، ليـس سـحرًا ولا بفعـل «الجانفضائـي» تلـك المخلوقـات المتحولـة.. عاجـز.. مـاذا الأفضـل؟ الانتقـام؟، أم الخضـوع لتلـك المخلوقـات التـي لا تُقهـر؟.. لا مُختـار ولا أي أحـدٍ يقـدر عـلى هزيمتهـم.. هـم أقـوى في كل شيء.. هـذا هـو الأمـل المسـلوب.. صمـت كل شيء حتـى الألم توقـف عندمـا تحـرك ذلـك المخلـوق إلى يـاسر مـرة أخـرى.. ومارجريـت مازالـت بجانبـه واقفـة بروحهـا الشريـرة.

اقـترب منـه ورفـع ظافـرًا وحركـه عـلى وجنتـه اليمنـى حتـى جرحـه جرحًـا رفيعًـا ومارجريـت تتحـدث بلسـان ذلـك المخلـوق المهجـن «الجانفضائـي»

مارجريت بصوت شيطاني:

- الوهـم.. سـتعيش الوهـم مجسـمًا.. حتـى يصبـح حقيقـة ملموسـة.. سنسـلب طموحـك والأمـل بداخلـك.. سـنجعلك بـلا حـاضر.. وسـيكون ماضيـك الوحيـد هـو الألم.. وسـنأخذ طموحـك وبعدهـا الأمـل، وفي النهايـة سـننتزع قلبـك.. سـنجعلك ميتًـا وأنـت على قيـد الحيـاة.. نحـن معـك في أحلامك، في أفـكارك، سـنجعلك بـلا وعـي.. نحـن القبيلـة الزرقـاء.. غذاؤنـا الأمـل والطمـوح والألم والقلـوب. ذلـك ترتيبنـا، ولكـن معـك أنـت تغـير كل شيء؛ لأنـك أنـت مـن صنعـت لنـا الأفضـل بوهمـك؛ لذلـك

أبدَلنا الترتيب وإن اخترنا أحدًا لن نفلته حتى يصبح بلا أمل ولا أحلام حينها فقط يسمع الصمت قادمًا.. احذروا الصمت فإنه قاتل.. تلك هي لعبة القدر، ونحن دائمًا ما نفوز.. أنت الآن في مرحلة الألم.. انتظر منا مرحلة سَلْب الأمل.. أنتم البشر لستم أفضل منَّا.. نحن الأفضل.. .وستعلمون قريبًا.. نحن قادمون، لن نترك أحدًا.

نظرات الرعب والفزع لا تترك ياسر.. حدقة عينه تتوسع حتى جحظت، ومارجريت ما زالت ممسكة رأسه بعنفٍ وقسوة شديدة ثم تركته ببطء والجانفضائي موجهٌ رأسه نحوه وهو يترك مكانه ويسير إلى مجهول.. يسير دون قدمين ويأخذ معه الظلام ويتلاشى معه الدخان الأزرق.

مارجريت ما زالت بجانب ياسر وقد رجعت لصورتها الأولى.. ولكن ما زال الحقد والكراهية في عينيها بشدة.. ثم مالت عليه بهدوء وهمهمت:

- إوعى يا ياسر تصدق الوهم.. إحنا في عقلك انت.. وانت اللي بتصنعه حقيقة.. الوهم قاتل يا ياسر قاتل.. قاتل.. دلوقتي إنت فهمت اللعبة.. مافيش أمل في المفر.

تقول تلك الكلمات وهي تتركه وتتباعد عنه ببطء حتى اختفت وتركته وحيدًا في ذلك المجهول ورانيا أمامه بلا قلب جالسة كما هي على كرسيها. المتحرك.. بعيدة يحاول الوصول إليها.. ولكنه ما زال متحجرًا غير قادر على الحركة، حاول مرارًا ولكن أصبح الأمل ضعيفًا.

هنا بدأ ياسر يتفهم أن كل ما مضى هو لعبة الوهم،



فهمَ ما يقال عن الترتيب.. فهم أنه ليس المختار. علم أن والده قتل حتى يشعر بمرارة الألم أكثر وأكثر.. علم أن الأمل أصبح ضعيفًا.. ماذا.. الأمل هذا ما أرادوه.. ولكن ما أفعل؟.. لا أمل في الفوز على قبيلة لا تُقهَر، ولكن كلمة الوهم محفورة في ذهنه وكأنها تسجيل يتردد في أذنه.. الوهم.. حينها أغمض عينيه عسى أن يكون هذا هو الوهم.. هذا هو الأمل الوحيد.. أغمض عينيه طويلًا وهو يردد بلا صوت:

- وهم.. وهم.. وهم.. أكيد مش حقيقة.

ظل يردد تلك الكلمات وهو يفتح عينيه ببطءٍ شديدٍ.. تردد خوفًا من أن يكون حقيقة.. ولكن بدأ يظهر رويدًا سقف غرفة أبيض لامع، حينها تنهد بارتياح.. وجد نفسه على سريره في بيته مصر.. أول ما تمالك نفسه نظر بجانبه لم يجد رانيا.. نظر على ساعة الحائط المعلقة على حائط أمامه.. الساعة الآن الثالثة فجرًا.. نهض من سريره يبحث عنها برعب.. ما زال الحلم يراود عقله، بدأ يبحث في كل أرجاء الغرفة.. على يمينه كانت هناك مرآة كبيرة، لمح على وجهه وهو يبحث شيئًا غريبًا، حينها كان قد تعدى المرآة، مال بظهره إلى الخلف قليلًا.. حتى وجد جرحًا بوجنته اليمني.. بدأ الخوف يضرب قلبه ونبضاته بدأت تتعالى.. حيرة ودهشة انتابتا ياسر، ظل ينادي على رانيا باحثًا عنها في سرعة.. حتى وصل إلى حمام غرفته.. وهو يمسك المقبض ويفتح الباب بخوف ورعب.. فتح وهو ينظر بداخله.. وجد مرآة الحمَّام مكتوبًا عليها بالدماء «الألم».. ورانيا مُلقاة على الأرض وسط بِركة من الدماء.

❁ ❁ ❁

الحلقة الثالثة عشر

الوهم

الآن أصبح ياسر على يقين بما رآه، تلك القبيلة المميتة توصلك إلى أول الطريق. تقتلك وأنت على قيد الحياة وتتركك في وهم وسط عالمك الحقيقي.. حتى تقتنع أن تلك هي الحقيقة، ومن ثم يبدأ العبث بداخلك عبث يسلب العقل.. مرض ينهش أعماق وعيك حتى تصبح تائهًا بين الحلم والحقيقة، بين الواقع والخيال.. جن أو مخلوقات فضائية.. أو جانفضائي، أو نفسك أنت.. لايهم الآن.. ما يهم أنك قد دخلت اللعبة.. وها قد بدأت اللعبة بسلب الألم منك.

ذلك الارتياح الذي شعر به ياسر بعد أن فتح عينيه من نومه وجد نفسه بمنزله.. «حلم».. كل ما مررت به كان حُلمًا!

لا ألم ولا شيء، كل هذا كان حُلمًا.. تنفس الصعداء.. تنهيدة ارتياح أخرجت ثقلًا كان كالجبل.. ملامح ياسر أصبحت أهدأ.. ابتسامة الرضا ارتسمت على وجهه.. ظل ناظرًا إلى سقف الغرفة متأمِّلًا سقفها بشوقٍ وغرام.. هذا هو شعور الراحة المُثلى.. نظر يمينًا باحثًا عنها تأكيدًا على وجودها،

إحســاس الغربــة والألم.. جعلــه يشــعر كــم هــي مهمــة بداخلــه كــم يحبهــا شــعر حينهــا أنهــا ليســت زوجــة يحبهــا.. هــي الــروح والعشــق والســكن.. نظــر حينهــا، لم يجدهــا.. ضرب الشــك قلبــه حينــما تــرك سريــره بالبحــث عنهــا ووجــد ذلــك الجــرح الرفيــع بوجنتــه اليمنــى.. حــدق أكثــر واقــترب بالمــرآة أكثــر ينظــر إلى وجنتــه بغرابــة وتفكــير.. مــاذا!!

مــن أيــن جــاءت تلــك الندبــة.. شروده وتفكــيره جعــلاه يتذكــر عندمــا اصطحبــه ذات يــوم خالــد ابــن خالتــه في جلســة روحانيــة.. حينهــا ســأل أحــد الحاضريــن.. الشــيخ الروحــاني.. أصحــو مــن نومــي أحيانًــا أجــد ندبــات بجســدي، وأيضًــا في مناطــق أخــرى، كدمــات دمويــة لونهــا أزرق.. نظــر لــه الشــيخ بإجابــة قاطعــة:

- هــذه مــن فِعــل الجــن.. وكانــت تلــك معركــة خفيــة لا تشــعر أنــت بهــا.. تراهــا كأنهــا حلــمٌ منسيٌّ.. وإن تذكرتــه فاحــذر مــن القــادم. تذكــر يــاسر تلــك الكلــمات.. وهــو مــا زال يحــدق أمــام المــرآة وقــد اتســعت عينــاه برهبــة وفــزع.. الشــك الضعيــف أصبــح أقــوى.. تــرك المــرآة في سرعــة وهــو ينــادي عــلى رانيــا بــكل أرجــاء الغرفــة.. ينــادي ولا مُجيــب..

- رانيا.. حبيبتي.. انتِ هنا.. رانيا.. يا رانيا.

باحثًــا ودقــات قلبــه تتصاعــد، يعلــم أن ليســت بعادتهــا أن تتركــه مســاءً وتغيــب.. ليــس لديهــما أطفــال حتــى تطمئــن عليهــم مســاءً كأي أم.. بحــث في كل مــكان حتــى شرفــة الغرفــة دخــل ولم يجدهــا. حتــى انتهــى مــن تلــك الغرفــة الكبــيرة.. ولا ســبيل إلا أن تكــون بحــمام الغرفــة.. تحــرك نحــوه مسرعًــا.. وأمســك بمقبــض البــاب فاتحًــا إيــاه بعنــفٍ.. مــرآة ضخمــة أمامــه مباشرة. تســيل منهــا دمــاء

مكتـوب عليهـا الألم بالمنتصـف وتحتهـا رقـم ٣٥.. ذعـرٌ مكتـوم وأمـل أصبـح معدومًـا.. تأكـد أن هنـاك شـيئًا خفيًّـا.. بـدأت ذكريـات أحلامـه تـرواده.. تذكـر كل مـا كان يـدور بأحلامـه.. علـم الآن أن مـا كان سـيكون.. نظـرات الذعـر ينشرهـا بالمكان أكمله حتـى وصـل إلى أرض الحمام.. وجـد ملاكـه الـبريء تغطيـه الدمـاء.. وقـف يـاسر بـلا حـراك في صمـتٍ وذهـولٍ، روحـه قـد فارقـت جسـده ولم تـترك لـه إلا كل مشـاعر الألم بقسـوة.. دمـوع تنهمـرُ في صمـت.. العقـل توقـف عـن أي تفكـيرٍ.. أخـذ خطوتـين داخـل الحـمَّام، أصبـح الأمـر الآن واضحًـا.. رانيـا عـلى الأرضَ مذبوحـة.. وسـكين ملطخـه ببقايـا دمـاء موضوعـة بجانبهـا.. ينظـر يـاسر حولـه.. ليـس هنـاك أي أثـرٍ لأي شيء.. الخـوف أصبـح يبعثـر أفـكاره.. لملـم مشـاعره فجـأة ووضعهـا بحقيبـة الجُبـن، مـاذا الآن.. مـا العمـل.. إن أبلغـت سـيتهمونني ،إن لم أبلـغ.. أيـن سـأخفيها؟.. فجـأة.. الحـب والذعـر والألم..

تحولـوا إلى كيـف الخـلاص، تلـك هـي معركـة النفـس البشريـة، نصـفٌ يحـارب نصفًـا آخـر.. الظـلام والنـور.. المنطـق والـلا منطـق.. الجبـن والجلـد.. الخـوف والشـجاعه.. الخـير والـشر.. حـرب بـين طرفـين.. دائـمًا مـا تحتـدم حينـما تصبـح بمفـردك حينهـا سـوف تعلـم مـا هـي حقيقتـك.. يـاسر الآن في تلـك الحـرب، ولكـن سُـلب منـه أعظـم إحسـاس.. أصبـح بـلا ألم.. وإن سُـلبَ منـك الألم سُـلبَ منـك الرحمـة والضمـير حينهـا يبقـى الأمـلُ ضعيفًـا في أن تبقـى إنسـانًا.. يـاسر غلبتـه نفسـه، معركتـه النفسـية قـد انتهـت، وتغلبـت القبيلـة الزرقـاء عـلى عقلـه وتحكمـت وسـيطرت عـلى واقعـه..

سيطرة الجن أصبحت حقيقة.. أخبره الجانفضائي إن اختاروك لن يفلتوك إلا وأنت مسلوب الألم والأمل والطموح وحينها سيصبح القلب لنا.. لأنه أصبح فارغًا من المشاعر الإنسانية العظيمة، وحينها لن تكون الأفضل.. ظلَّ ياسر في حيرة من أمره.. الخوف الآن أصبح حليفه الوحيد، وعندما يدق الخوف بابك.. ستفعل كل شيء وأي شيء للخلاص من خوفك.. خرج ياسر من داخل حمَّام الغرفة تاركًا رانيا بدمائها على الأرض.. كانت عقارب الساعة على الحائط تشير إلى الثالثة فجرًا.. أمسك بهاتف المنزل، رفع سماعته على أذنه بارتعاش وخوف طالبًا أحدًا.. ثم صمت على غير صبر.. وتوتر، وقال:

- ألو.. أيوه يا خالد.. تعالى لي بسرعة على البيت.

وما تقولش لحد إنك جاي..

قاطعه خالد:

- في إيه يا ياسر؟.. إنت كويس؟. ولّا جت لك الحالة تاني؟ حلم برضو.. طمني في إيه؟

- تعالى يا خالد أرجوك.. بسرعة.

- طيب أنا جاي حاضر مسافة السكة.

أغلق خالد الهاتف، ونظر إلى زوجته بجانبه.

- قلت له أنا قبل كدا ما يفضلش قاعد لوحده في البيت ما أعرفش عايز يقعد ليه لوحده؟ كدا وحدته دي هتقتله.

❊❊❊

الحلقة الرابعة عشر

الكوكب الأزرق

الوهم٢

أغلق خالد الهاتف، ونظر بجانبه لزوجته بحيرة، ثم ترك سريره متوجهًا إلى دولاب ملابسه بغرفته، حينها كانت زوجته تنظر له مغلقة عين وناظرة بعينها الأخرى.

- خالد، إنت برضو هتروح؟ إنت مش عارف آخر مرة انت رُحت فيها إيه اللي حصل؟!

- أنا عارف إنه هيرجع تاني للي هو في، قُلت له إنه ما ينفعش يقعد لوحده.. طبعًا هروح وما أقدرش أسيبه في حالته دي.. آخر مرة سِبته كان هيموت.. عارف إن قعدته لوحده دي هتموِّته.. ولو سمحتِ ما تتكلميش معايا في الموضوع ده تاني.

نظرت له الزوجه بامتعاض وهو أمام المرآة يكمل ارتداء ملابسه في سرعة.. حالة من الصمت بينهما، حتى قطعه صوت باب الغرفة عندما أغلقه خالد خلفه متجهًا إلى باب منزله.. حينها كان ياسر في رعب قاتل.. تائهًا بين حلمه وواقعه.. كيف ينقلب ذلك الحلم إلى حقيقة؟ أفكار غريبة تراوده، وهو في قلق هائم بأرجاء الغرفة لا يدري ما العمل، شعوره بالألم تلاشى، بداخله شعور بالغربة من نفسه، ولا حتى إحساس بالذنب.. المشاعر الإنسانية بدأت بالانقراض من داخله.. صوت عجلات سيارة قادمة.. صوت سرعتها واضح حتى سمع صوت فراملها.. ياسر من غرفته توجه سريعًا إلى الشرفة، وجد خالدًا ينزل من سيارته في عجالة..

ذهب وأغلق باب الحمَّام، وأسرع خارجًا من غرفته، مسرعًا.. مرتعشًا.. نازلًا من على سلم قصر العائلة متجهًا إلى الباب الرئيسي.. كان خالد يطرق الباب بشدة وفي سرعة.. فتح له ياسر الباب قائلًا:

- إلحقني يا خالد.. أنا مش عارف إيه اللي حصل.

- في إيه يا ياسر؟.. إهدا طيب.. مالك؟

ردَّ ياسر متلعثمًا:

- رانيا.. ياخالد.. الحلم.. والجنفضائي..

رانيا! رانيا مين يا ياسر؟

ياسر وبدا عليه الغضب

- رانيا مراتي يا خالد.. برضو مش هتصدقوني صح؟

تنهد خالد صبرًا وقال:

- طب تعالي.. وريني.

رافقه ياسر حتى وصلا إلى غرفته في الدور العلوي.. متجهين معًا إلى باب الحمَّام بالغرفة.. أمسك خالد بالمقبض ولفّه ببطء. حتى انفتح الباب على مصراعيه.. لم يجدا أحدًا.. نظر لياسر، وجده يحدق بالأرض.. بصمتٍ ثم قال:

- شايف يا خالد.. رانيا ماتت.. ثم أخذ خطوات ووقف بمنتصف الحمام ثم جثا على ركبتيه محدقًا بالأرض، وتبدو بين عينيه دموع تتساقط في هدوء.. حينها كان خالد ناظرًا له بشفقة وحزن كبير، حالة ألم تعتصر خالد.. أصعب ما يكون أن تعيش بين أوهامك حتى تصبح حقيقة تعيشها ولا يراها

غـيرك.. أصنـع يـاسر عالمًـا خاصًـا.. أم حقيقـة يراهـا مـن عـالم خفـيّ لا يـراه غـيره؟ جنـون يصيبـه دون أن يشـعر.. أو كـما يرونـه مـن حولـه، إنـه جنـون.. دخـل خالـد وجثـا عـلى ركبتيـه بجانـب خالـد بعطـف وصـبر شـديد وأمسـك بيـده وقـال:

- طيـب.. طيـب تعـالى يـا يـاسر.. أنـا هتـصرف.. خـلاص تعـالى بـس.. نقعـد في البلكونـة، واحـكِ لي بـس بالراحـة إيـه الـلي حصـل.

توجـه يـاسر بوجهـه إلى خالـد ونظراتـه مليئـة بالضعـف والهـوان والانكسـار.. وهـو مـا زال يراهـا عـلى الأرض ملطخـة بالدمـاء.. هـذا هـو الوهـم.. وهـمٌ يأخـذك بـين عـالم تـراه أنـت بمفـردك، عـالم يصنعونـه بأعـماق عقلـك ويشـعرونك بأنـه واقـع حتـى يأخـذوا منـك مـا يريـدون.. الآن قـد انتهـت مرحلـة الألم.. خـرج خالـد ومعـه ياسر مـن حمـام الغرفـة وهـو ناظـرٌ إلى الأرض.. مـا زال في وهمـه الـكاذب.. تحـركا سـويًّا إلى أن وصـلا إلى شُرفتـه، وجلـس يـاسر عـلى كرسـيه المتحـرك..

تحدث خالد قائلًا:

- أنـا مـش عـارف إيـه حبـك في الكـرسي دا؟ عـلى العمـوم أنـا هـروح أعمـل تليفـون أطمـن رقيـة مـراتي..

وهآجي لك.. ما تقلقش

تركـه خالـد جالسًـا عـلى كرسـيه بتعـب، وأحـضر لـه هاتفـه المحمـول.. قـال

خالـد بابتسـامة مصطنعـة: خـد شـوف النـاس باعتـة لـك في صفحتـك النـاس بيسـألوا عليـك.



نظر له ياسر بغرابة شديدة وهو يلتقط منه الهاتف.

ياسر بعصبية شديدة:

- إنت إيه البرود اللي انت فيه دا..

إحنا في إيه ولّا في إيه؟ بقول لك رانيا مقتولة.. أنا في مصيبة.

- طب إهدا بس وأنا هتصرف..

خرج خالد مسرعًا، وأخرج من جيبه هاتفه المحمول..

واتصل بالدكتور الخاص بياسر..

- آلو.. . أيوه يا دكتور أنا آسف إني اتصلت بيك في الوقت دا.. لكن ياسر رجعت له الحالة تاني.. ومش عارف أعمل إيه.. المرة دي بيقول لي إن رانيا مقتولة..

ردَّ الطبيب: طيب.. أنا مش هقدر آجي دلوقت.. ممكن تحاول تهدّيه شوية وأنا الصبح هكون معاكم.. أنا يا أستاذ خالد قُلت لك إنه لازم يدخل المصحة لأن الوضع أصبح مقلق جدًّا.

- أنا مش عارف أقنعه إن اللي فيه دا وهم، وهو على الوضع دا.. أرجوك شوف لنا حل، وهو مقتنع إن في حاجة اسمها «جانفضائي».

- حاضر.. لكن أنا فعلًا عجزت عن طريقة علاجه.. لكن هحاول آخر محاولة.. وإن شاء الله تجيب نتيجة.

مازال ياسر جالسًا في الشرفة بلا أي حراك، حينها نقر الهاتف نقرة رسالة مرسلة.. نظر من بعيد، ومدَّ يده لالتقاطه،

ثـم حـرك إصبعـه عـلى شاشـة الهاتـف، وجـد رسـالة مـن مجهـول رابـط «رابـط لصفحـة مـاوراء الطبيعـة» أخـذه الفضـول أكثـر.. فتحهـا. وبـدأ يقـرأ محتـوى الرسـالة.. أول مـا قـرأ.

«النظريـة السـائدة حـول نشـأة الكـون تعتمـد فكـرة النظريـة أن الكـون كان في المـاضي في حالـة حـارة شـديدة الكثافـة فتمـدد، وأن الكـون كان يومًـا جـزءًا واحـدًا عنـد نشـأته. بعـض التقديـرات الحديثـة تُقـدّر حـدوث تلـك اللحظـة قبـل ١٣,٨ مليـار سـنة، والـذي يُعتـبر عمـر الكـون. وبعـد التمـدد الأول، بَـرُدَ الكـون بـما يكفـي لتكويـن جسـيمات دون ذريـة كالبروتونـات والنيترونـات والإلكترونـات. ورغـم تكـوّن نويـات ذريـة بسـيطة خـلال الثـلاث دقائـق التاليـة للانفجـار العظيـم.» بـدأ يأخـذه شـغف القـراءة أكثـر.. الفضـول أكثـر.. إلى أن وصـل.. إلى منشـور مكتـوب عنوانـه «الكوكـب الأزرق».. وهنـا قـد بـدأت مرحلـة الأمـل.



الحلقة الخامسة عشر

بداية الأمل

ما زال ياسر مقتنعًا أنه ليس وهمًا ولا أحلامًا ولا مرضًا نفسيًّا.. تأكد أنه على حق. نظر إلى حمام الغرفة.. ما زال يرى جثة رانيا على الأرض.. أين خالد؟ ماذا يفعل؟ أين التصرف؟.. صرخ بعصبية مناديًا على خالد:

– يااااااا خاااااالد.. تعالى، إنت فين؟ عشان انت مش مصدقني.. تعالى

خالد كان بالأسفل يفكر بطريقة لتهدئته، يعلم أن ياسر مقتنعًا تمامًا أن هناك رانيا ومقتولة بحمَّام الغرفة، حيرة كبيرة لا يدري ما العمل.. ولكنه في لحظة تفكير.. قرر ألا يتركه بمفرده، سيظل معه مهما كلفه الأمر، في كل مرة يحدث لياسر أمرٌ ما، كان يتركه بعد أن يهدأ، ولكن تلك المرة قرر أن يبقى ولا سبيل آخر عن البقاء.. فكرة أخذت من الوقت لحظة، وياسر بالغرفة من الدور الأول ما زال ينادي على خالد بنبرات الغضب:

- يااااا خالد.. تعالى.. مش بترد عليَّ ليه؟
- أيوه يا ياسر أنا جاي بس هعمل حاجة سخنة وجاي.
- أنا مش عايز حاجة، تعالى خلصني من اللي أنا فيه دا.
- طيب خلاص خلاص.. طالع.. طالع.

توجَّه خالد للأعلى متجهًا إلى غرفة ياسر، وحين اقترب من غرفته سمع صوت همهمات ضعيفة.. تنصت بتركيز، ولكن لم يفهم أي شيء.. بدأ الشك يضرب قلبه.. شيء خفي راوده، شيء يقنعه أن تلك هي الحقيقة.. أن هناك «جانفضائي».. هناك عالم غير عالم الجن والإنس حيرة وتردد.. خالد أصبح بين الشك واليقين المنطق واللا منطق.. ما العمل إن كان هناك احتمال حتى وإن كان ضعيفًا أن يكون ياسر على حق، وإن هناك عالمٌ خفيٌّ لا يعلم عنه أحد.. ولم لا؟.. كم من مرة أذهب إلى المجالس الروحانية.. أشاهد أشياء لا يصدقها أي عقل.. ولكن هذا عالم الجن، ليس عالم فضائي جني وجيل فريد لا يعلم عنه أحد.. أفكار كثيرة ومتشابكة.. لحظات يقتنع ولحظات لا.. يبدو أن خالدًا قد اقترب من عالم ياسر، دخل خالد بسرعة، وجد ياسر أمام المرآة ناظرًا لها ويتحدث بهمهات غريبة كأنه يتحدث مع أحدٍ.

خالد ناظرٌ بتعجب..

ياسر.. اقترب منه أكثر ونظر بالمرآة بخوف..

- ياسر، إنت بتكلم مين؟

استمر ياسر بحديثه الخفيض للمجهول.. يحدِّث نفسه.. أم يحدِّث عالمًا آخر.. أم عقله؟ لا أحد يدري.. ياسر فقط هو من يعلم.. خالد استشعر الرعب حقًّا، هذا ليس جنونًا، رآه خالد بصورة غريبة، ليس جنونًا..

هذا شيء آخر غير الجنون، بدأ جزء من عقله يقتنع بذلك العالم الخفي.. خيط رفيع بين العالمين، منطقة تدفعك حقًّا للجنون، ولكن لا سبيل فيها إلا الأمل. ملامح ياسر تبدو عليها الغرابة.. ملامح عينيه لا تبدو على ما يرام.. وضع خالد يده على كتف ياسر، سأله بخوفٍ وبطءٍ شديدٍ:

- في إيه يا ياسر؟

فجأة التفت إليه ياسر ونظرات الغضب قد أرعبت خالد وجعلته يرجع خطوتين إلى الخلف..

- في إيه ياسر مالك؟.. إهدا طيب أنا هسمعك..

مش همشي أنا قاعد معاك للآخر.. هسمع منك كل حاجة.

مسك ياسر أخاه من ياقة قميصه واجتذبه إليه بقوة وعنفٍ، حتى اقترب منه وقال:

- هُمَّا قالوا لي إنك انت الأمل.. إنت الأمل يا خالد، إنت فرصتي الوحيدة.

حينها كان خالد ناظرًا برعب لياسر، تلعثمت كلماته، أمسك خالد بيده كطفلٍ محاولًا أن يثنيه عن تلك القبضة المريبة، وقال محاولًا تهدئته:

- طب إهدا يا ياسر.. أنا معاك.. إهدا ونقعد.



- الكوكب الأزرق طلع حقيقي يا خالد.. أنا مش مجنون.

- أنا مصدقك بس تعالى احكِ لي الموضوع.. وبعدها هنروح للشيخ مرزوق المغربي.. هو هيشوف لنا حل.

نظر ياسر بهدوء ورضا.. أخيرًا ظهر الأمل؛ هناك من يصدقه.. الآن خالد أصبح الأمل.. بعد قليل تفاجأ خالد بياسر يسأله:

- طب جثة رانيا هنعمل فيها إيه؟

- رانيا مين؟

ياسر بغضب:

- رانيا يا خالد.. إنت هترجع في كلامك؟

- طب إيه رأيك نتصل بالشيخ مرزوق يجي ونحكي له بالظبط كل حاجة وهو هيتصرف.. مش ممكن رانيا دي تطلع تبعهم؟

- يبقى انت لسه مش مصدقني.. شوف كدا يا خالد؟ إنت عمرك شُفت جرح على خدي بالطريقة دي؟

ينظر له خالد بصمت رافضًا الإجابة وكأنه يعلم سر الندبة..

يسأله ياسر من جديد:

- إنت مش بترد ليه؟ برضو مش مصدق؟.. إنت زيهم مش مصدق؟ نظراتك بتقول إنك مش مصدق.. خالد.. أنا بموت كل يوم، كل يوم فيه جوايا حتة بتختفي.. أنا ما بقتش أحس بأي ألم.. حتى رانيا فجأة حسيت إنه بقى عادي موتها..



هُمَّا قالوا لي كدا.. إني هفضل من غير ألم ولا أمل ولا طموح، قالوا إني المُختار، وقالوا إني «رقم ٣٥».

- هُمَّا مين دول اللي قالولك

- القبيلة الزرقاء يا خالد.

- طب سؤال، ليه انت بالتحديد؟

- ما أعرفش.. اللي أعرفه إنهم بيعشقوا الصمت.

- طب أنا هكلم الشيخ مرزوق.

أصبحت الآن الساعة السادسة صباحًا وشمس النهار تشرق وظلام العقول بدأ بالانتشار.. خطا خالد الآن أولى خطواته في «عالم الوهم».. استدراج، أم بإرادته لا يهم، المهم أنه الآن على أول الطريق.

أخرج خالد هاتفه المحمول ووضعه على أُذنه، وتحدَّث قائلًا:

- ألو.. أيوه يا شيخنا.. عامل إيه؟.. كنت محتاجك دلوقتي حالًا.. فاكر الشاب اللي كان معايا في جلسة من جلساتك.. أيوه بالظبط هو دا.. كنا محتاجين تسمع منه بتحصل له حاجات غريبة.

قاطعه ياسر مشيرًا له أن يأتي سريعًا.. أومأ خالد برأسه موافقًا.

- بس يا شيخنا تيجي حالًا. الموضوع لا يحتمل التأخير.. صمت قليلًا يستمع، ثم أكمل وقال: طيب أنا هاجي آخدك.. مسافة السكة.



حينها أغلق خالد الهاتف ونظر لياسر:

- بُص.. خليك، أنا هروح أجيب الشيخ وآجي مسافة السكة.

قاطعه ياسر بسرعة:

- لا لا لا ما تسبنيش لوحدي مع الجثة دي.

- جثة! جثة إيه؟

- تاني؟! ركز يا خالد، رانيا.

- آه آه.. رانيا أيوه افتكرت.

- طب يلا أنا جاي.

وأخذ طريقه للخروج من الغرفة، حينها أوقفه خالد بسخرية:

- إنت هتيجي معايا كدا بهدوم البيت.

- هدوم بيت إيه؟ دي البدلة اللي بابا جابها لي من فرنسا، مش بقلعها هنزل بيها.

- بدلة.. آه طيب.. ثم قاطعه ياسر:

- إيه مش هتنفع لمشوارنا؟

خالد بنظرات الشفقة وبابتسامة مصطنعة:

- طب إحنا المكان اللي رايحينه مش هينفع تبقى لابس بدلة فيه.. إلبس كاجول أحسن.. طب استنى.

أمسك خالد بيد ياسر وجذبه خلفه متجهًا إلى دولاب ملابسه، يبحث له عن ملابس، أخذ يزيح الملابس يمينًا ويسارًا، وياسر بملامح طفل ينظر بكل أرجاء الغرفة في سعادة الأطفال..

من أين تأتي تلك السعادة؟.. هذا الأمل.. أم جنون عقل ومشاعر متغيرة؟ حينها أخرج له ملابس مناسبة، ارتدى ياسر ملابسه بسرعة واتخذ مع ياسر طريق الخروج، وقبل أن يخطو الخطوة الثانية، نظر ياسر إلى الخلف مبتسمًا.. وقال:

- ما تقلقيش يا حبيبتي.. هآجي بسرعة.

كلمات تراها جنونًا.. ولكن يراها ياسر أملًا في إثبات أن وهمه هو الحقيقة.. لكن خالد يراها شيئًا آخر.. يرى ما بين العالمين.. مابين الوهم والحقيقة.. واقع أصبح أليمًا، ووهم أصبح غير مفهوم.. تلك المنطقة تدفعك للجنون..

ولكن ما جعل خالد بكل هذا الصبر.. هو الأمل.. شعور مشترك بينهما، ولكنه خفيٌّ.. الأمل الآن أصبح كبيرًا، خرجا متجهين إلى سيارة خالد، ثم وضع مفتاح سيارته وأشعل محرِّكها حتى تحرك مسرعًا في طريقه إلى الشيخ مرزوق، وياسر يشاهد المباني والطريق وكأنه وُلِدَ من جديد، وخالد يشاهده كأنه طفل صغير سعيد، تذكر حينها قبل سنوات كيف كانت حالته وهو محبوس بغرفته في قصره بعد صدمة وفاة والده في ظروف غامضة لا يعلم عنها أحد حتى تلك اللحظة.. كان والده بالنسبة له ليس أبًا فقط، كان الصديق والأب، كان حياة.. بعده أصبح ياسر وحيدًا.. صامتًا، حالة قطعته عن عالم الأحياء، الآن قد وصلا إلى مقر الشيخ مرزوق، يسكن الشيخ مرزوق بضواحي محافظة الجيزة.. قرية صغيره على أطرافها، تزوره جميع المستويات من الغفير للقاضي والسياسي وصاحب السُّلطة وصاحب المال، والأغرب من كل

هـذا مثقفـون معروفـون بحديثهـم عـن العِلـم والتفكُّـر والتدبـر.. شـيخ سـيطه واسـع بـكل أرجـاء البـلاد، يـأتي إليـه مـن كل أرجـاء الجمهوريـة، نـزل خالـد ويـاسر مـن السـيارة.. أصبحـت الآن السـاعة التاسـعة صباحًـا.. متجهـين إلى بـاب البيـت الماكـث فيـه الشـيخ، طـرق خالـد البـاب بلطـف حتـى فتـح لـه مسـاعده «عبـد الجبـار».. نظـر لهـما بترحـاب بالـغ ودعاهمـا إلى الدخـول. دخـلا في تواضـع وبنظـرات شـكر، حتـى التفـت عبـد الجبـار ليرشـدهما إلى غرفـة الشـيخ مـرزوق، بيـت لا تدخلـه شـمس، مغلـق مـن كل اتجـاه، رائحـة البخـور تفـوح مـن كل مـكانٍ، أضـواء خفيضـة بالـكاد تـرى أمامـك.. كانـا يسـيران خلـف عبـد الجبـار.. ويـاسر محملـقٌ بعينيـه بسـقف الممـر السـائرين بـه.. حتـى وصـلا للغرفـة.. طـرقَ البـاب عبـد الجبـار بـاب قائـلًا:

- البشوات يا شيخنا وصلوا..

- خليهم يخشوا يا عبده.

أشـار لهـما عبـد الجبـار بالدخـول.. ومـا إن دخـلا حتـى أغلـق البـاب وخـرج.. نظـرات التعجـب أصبحـت واضحـة عـلى يـاسر عندمـا وجـد الشـيخ مـرزوق جالسًـا عـلى مكتبـه بآخـر الغرفـة.. دهشـة عجيبـة.. صمـت كالأبلـة.. نظـر إلى خالـد وقـال..

- دا البروفيسور «مايكل ماثيو!».



الحلقة السادسة عشر

الشيخ مرزوق

أغلق بعد الجبار مساعد الشيخ مرزوق الباب خلفهما، حينها ظل ياسر في ذهول ودهشة عندما نظر إلى الشيخ مرزوق وجده يشبه البروفيسور «مايكل ماثيو».. وقف لحظات يتأمل ملامحه، وخالد يمسك بذراعه يجذبه خلفه ليتقدم ناحية الشيخ مرزوق.. ياسر كان متجمدًا بلا أي حركة.. تذكر حينها حلمه، ولكن بلا أي حراك.. صدمة جعلته كالأبله..

بينما خالد نظر للشيخ وقال مبتسمًا:

- السلام عليكم يا شيخنا.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

ما زال ياسر خلف الباب واقفًا في ذهول محاولًا جذبه من ذراعه، ولكن لا جديد.. اقترب خالد منه وبصوت خفيض:

- إيه ياسر مالك؟ ما تدخل..

- دا البروفيسور مايكل ماثيو.

خالد بتعجب: مايكل ماثيو مين!

- يووووووه...

حينها قاطعهما الشيخ مرزوق مبتسمًا:

- إتفضلوا -ونظر تجاة ياسر- تعالى يا ياسر.. ما تقلقش تعالى اقعد واحكِ لي.. أنا شَبه مين في حلمك.

نظر ياسر وخالد باستغراب ودهشة قطعها الشيخ مرزوق قائلًا:

- مالكم؟ مستغربين من إيه؟.. تعالوا اتفضلوا، قالها وهو يشير بيديه إلى كرسيين أمامه بالمكتب وما زالت تلك الابتسامة المرسومة على وجهه كما هي.. تقدم خالد وياسر باتجاه الشيخ حتى جلسا في هدوء وبطءٍ.. وياسر محدق بالشيخ بغرابة يتفحص ملامحه.. قاطعة الشيخ بثبات وهدوء:

- ها بقى قُل لي في إيه وبتحس بإيه؟

ياسرفي شرود:

- الكوكب الأزرق.. وال....

قاطعه الشيخ بنظرات رعب وخوف، فيبدو أنه يعلم شيئًا عنه:

-الجانفضائي..

نظر ياسر إلى أخيه نظرات المنتصر وهو يخبط بيده على زجاج المكتب:

- سمعت كلامي بقى، أنا مش مجنون يا خالد، أنا مش مجنون.

- ولكن..



قالها الشيخ مرزوق يقطع بها تلك نظرات النصر الواثقة من ياسر.

- قبيلة لا يضاهيها أي فصيلة في عالم الجن في ترويعك وسحب وعيك وجعلك تعيش وهمًا حقيقيًّا، حتى تصاب بالجنون.

سأله خالد:

- إيه حكايتهم القبيلة دي؟

- قبل بداية الخليقة على الأرض كانوا هُمَّا اللي ساكنين الأرض، أفسدوا كل شيء في الأرض، وحدثت حروب عظيمة بين الفصائل، لأن تلك القبيلة تعتقد بأن فصيلتهم هي الأقوى والأفضل.. هم المفضلون.. بارعون في الانتقال بين العوالم وافتعال ثقوب زمنية ومكانية رهيبة، وحينما سيطروا على كل شيء تقريبًا.. ظهر حينها فصيلة جن أقوى، سريع كلمح البصر، ذكي، شجاع، متطور، اسمهم الجن الترابي، وكانت بالمرصاد حتى حاصروهم بمكان ما بأطراف الكرة الأرضية، حاليا اسمه «مدينة المكسيك» بعد ذلك ظلوا تحت باطن الأرض في ذُلٍّ ومهانة كبيرة، حتى ظهر منهم ولد من أولاد إبليس اسمه «دنهش»، قوي، شديد الذكاء، له القدرة على تغيير الزمان والمكان. وعمل ثقوب بين العوالم.. وكان أقواهم.. خرج عليهم وفتح ثقبًا أسود لاستدعاء قبيلة الجن الأزرق، ولكن من عالم آخر.. قبيلة تشبههم في الطباع، ولكنهم أقوى وأشد ذكاءً، بسبب تطورهم الفارق بملايين السنوات.. حينها كان الابن الأصغر لإبليس «ساروخ» لديه القدرة على

التواصـل بالعـوالم الأخـرى، وتـم التواصـل معهـم بطريقـة لا يعلمهـا أحـد حتـى هـذه اللحظـة، واصطـدم بـالأرض ذلـك الكوكـب بتلـك المنطقـة، وبعدهـا حـدث مـا لم يكـن بالحسـبان، تـزوج فـردٌ مـن الجـن الأزرق بابنـة إبليـس «نائلـة» ذات الشـعور المائلـة، حتـى أنجبـت أول جيـل مهجـن بـين أولاد الشـيطان والجـن الفضائـي، ظلـوا حينهـا ماكثـين تحـت الأرض سـنوات وسـنوات، أصبحـوا قبيلـة لا تُقهَـر. قويـةً وذكيـةً ومتطـورةً لهـا القـدرةً عـلى إدخالـك بالوهـم وكأنـه حقيقـة، لا يأتـون بخـير وإن اختـاروا فريسـتهم لا يفلتونـه.. وعندمـا خلـق الله الإنسـان استشـاطوا غضبًـا، وعندمـا فضَّلنـا الله عـن باقـي المخلوقـات ورفـضَ إبليـس السـجود.. وتحـدى إرادة الله.. هبـط إبليـس عـلى الأرض وأمـر تلـك القبيلـة أن يكونـوا للإنسـان بالمرصـاد.. وأكثـر مـا كان يحيرهـم هـو عقـل البـشر.. كان الإنسـان أذكـى ومتدبـرًا أمـور الكـون، ولكـن نقطـة ضعفـه الوحيـدة.. الصمـت وكثـرة التفكـير، وبـدأ يحـارب البـشر مـن تلـك النقطـة ويمتـص روحهـم جـزءًا جـزءًا، الألم لأنـه يشـعرهم بالرحمـة وتأنيـب الضمـير، والأمـل لأنـه يعطيهـم أسـباب الحيـاة، والطمـوح لأنـه مـن أسـباب النجـاح.. وأخـيرًا يلتهـم قلبـه، لأنـه يعتقـد أن القلـب هـو فطـرة نقـاء ورقـي الإنسـان.. قبيلـة مرعبـة.. لا أحـد قـادر عـلى التغلـب عليهـا مهـما وصـل بنـا العلـم الروحـاني، ولكنهـم دائـمًا متجـددون وأجيالهـم تتطـور بسرعـة رهيبـة، كان يـاسر وخالـد يسـتمعان بإنصـات وتركيـز ودهشـة كبـيرة، صمـت حينهـا الشـيخ لحظـة موزعًـا نظراتـه عليهـما، ثـم وقـف فجـأة والتـف والتقـط مـن مكتبـة الكتـب خلفـه كتابًـا ضخـمًا قديـمًا أوراقـهُ صفـراء وغلافـه

بُنـي مكتـوبْ عليـه.. «أولاد إبليـس».. وظـل يتصفـح في صفحاتـه ويقلبـه بسرعـة..

حتى توقف وأمعن النظر بها.. وقال:

- مارجريت، هي أول المختارين..

وعقـدِت معاهـم حاجـة اسـمها «صفقـة الخـلاص».. ولمـا أبرمـت الصفقـة بقـت منهـم وبيسـتخدموها في التواصـل مـع البـشر بصورتهـا المريضـة، وأحيانًـا بتبقـى بصـورة جميلـة جـدًا.. ولـو ظهـرت لـك مـرة تانيـة أعـرف إنـك دخلـت عالمهـم وإن في رسـالة ليـك ولازم توصـل لـك..

حينها قاطعه ياسر وفي شوق للمعرفة سأله:

- يعنـي إيـه المختـار؟ وصحيـح في جـن بيسـتخدم البـشر ضدهـم؟

- المختـار.. بيطلقـوه عـلى مـن اختـاروه لأنهـم مـا يعرفـوش أسـماء لكـن يعرفـوا أرقـام.. وانـت بقـى أخـدت رقـم كام؟

- ٣٥..

ردَّ الشـيخ مـرزوق باسـتغراب شـديد وتبدلـت ملامـح الراحـة إلى ملامـح القلـق:

- ٣٥! إزاي؟

ثـم نظـر إلى ذلـك الكتـاب القديـم، وظـل يتصفـح صفحاتـه حتـى وقـف بصفحـة محدقًـا بدهشـة وصمـت، وبـدت ملامـح الرعـب واضحـة عـلى وجهـه.. ظـل محدقًـا بالصفحـة ويبـادل نظراتـه بـين الصفحـه ويـاسر.. ثـم تحـدث وقـال:



- ياسر، هو انت اسمك إيه بالكامل؟

- ياسر مصطفى عدلان.

- مصطفى السيد إبراهيم علي منصور زكي عبد الوهاب عادل عدلان

ياسر باستغراب:

- أنا ما أعرفش كل الأسامي دي.

- والدك الله يرحمه...

قاطعه خالد وياسر في نفس الوقت قائلين:

- الله يرحمه! إنت عرفت منين إنه مات؟

صمت الشيخ لوهلة.. ثم جلس وقال:

- عارف الكتاب اللي قُدَّامي دا مين اللي كتبه؟.. كان جدك الكبير عدلان.. جدك عدلان هو الراجل الوحيد اللي دخل عالم القبيلة دي وعرِف كل أسرارهم.. هقول لك.. بس حاول تركز في اللي هقوله.. القبيلة دي بالتحديد مش بتشتغل إلا كل سنة شهر واحد، مش زي الشياطين سارحين في نفوس البشر بوسواس الشر، لأ دول قبيلة مختلفة، نوع جديد من الجن هجين فريد من نوعه.. شهر واحد وكل يوم واحد يختاروه.. في أقل من ٤٢ ساعة يكون اللي اختاروه مات أو انتحر بظروف غريبة، لكن عائلتكم مختلفة، جدك كان من الناس اللي اختاروه من زمن بعيد.. ولما عرضوا عليه اتفاق الخلاص رفض بشدة.. وقال: إن كنتم الوهم.. فأنا الإرادة، وحاولو معاه بشتى الطرق من وهم لرعب، وبعد ما ضربهم اليأس،

أوصلوا له رسالة أن هناك جيلًا من نسلك سيصبحون بلا إرادة ويعشقون السكوت والوحدة، اعلم حينها أن عائلتك ستكون ملعونة ولن نترك منهم أحدًا، سوف نختار أفضلهم ونجعلهم بلا عقول ولا أمل ولا طموح، سنميتهم أحياءً قبل أن نقتلع قلوبهم، حينها نظر الشيخ مرزوق إلى ياسر، وقال:

- إنت الجيل ال٥٣ يا ياسر وأبوك كان جيل ٤٣، ولأن انت مش متجوز وما عندكش أولاد من نسلك هتبقى الأخير، ومافيش مخلوق على الأرض هيقدر يوقفهم، ده قدرك من قبل ميلادك.. لكن الكتاب اللي جدك عمله.. في أهم سر لهزيمتهم.

خالد جالس ينظر للشيخ برعب وياسر يستمع بصمت وشرود ذهن، وفجأة همَّ ياسر بالوقوف حتى ينظر إلى ذلك الكتاب.. إلا أن النورَ انقطع عن الغرفةِ وتسرب دخان لونَه أزرق وصراخ أناس تتهاوى من ارتفاع، وفجأة سُمع صوت أنين مرعب يقترب، وما زال صوت الناس يتعالى. وياسر واقفٌ كالصنم لا حركة لا صوت، وفجأة صمت كل شيء.. لا أحد يصرخ ولا أحد يرى أحد.. ظلام لا ترى منه يديك، حاول ياسر أن يصرخ وينادي على أحد.. ولكن الصمت قد ألجمه.. وفجأة رجع كل شيء إلى أصله، نظر ياسر، وجد خالد مُلقى على الأرض والشيخ مرزوق قد اختفى ومعه الكتاب.

❊❊❊

الحلقة السابعة عشر

وقف ياسر أمام خالد الملقى على الأرض فاقدًا الوعي..

جثا ياسر جانبه محاولًا إفاقته.

- خالد.. خالد..

يضرب بيده على خده بلطفٍ، ولكن خالد لا يجيب.. هرع ياسر مسرعًا إلى باب الغرفة مُناديا على عبد الجبار، ولكن حين أمسك مقبض الباب وهمَّ أن يفتحه سمع صوتًا قادمًا من خلفه وضحكات استهزاء شريرة:

- رايح فين يا ياسر؟.. مافيش مخرَج أو مفر من موتك.. موتك أصبح أقرب.. ما حدِّش هيقدر يساعدك.

التفت ياسر بسرعة ناحية الصوت، وجد خالدًا واقفًا وقد تغيرت ملامحه لون وجهه أصبح أزرق وعيناه اتسعت حدقتاهما وتلونتا بلون أسود أشد من ظلام ليل بلا قمر.. عظم وجهه أصبح بارزًا، كمومياء فرعونية محنطة.. يسيل من فمه مخاط أزرق سميك، يقف أمام ياسر على بُعد خطوات كأسد منتظر لحظة اصطياد فريسته، حينها ياسر ظل في رعب، أيقن الآن أن الأمل أصبح معدومًا، إنهم قبيلة لا تُقهَر..

أنـا الآن هالـك.. قـد انتهـى أمـري.. مـا هـذا؟ ضربـات قلبـه تتسـارع كطبـول حـرب.. رعـب جعـل العقـل يتوقـف عـن التفكير إلا في الخـلاص.. وكيـف الخـلاص إنهـم بـكل مـكان حتـى خالـد أصبـح منهـم، والشـيخ مـرزوق اختفـى.. حينهـا رجـع خطوتـين إلى الخلـف حتـى اصطـدم بالبـاب وخوفـه مـن غـدر خالـد المتحول أن يهجـم عليـه، جعلـه يحـاول مـن خلفـه بهـدوء أن يفتـح مقبـض البـاب، ولكـن المقبـض لا يعمـل.. البـاب لا يُفتَـح.. أصبـح الآن وحيـدًا.. هـو وخالـد فقـط.. الموقـف أصبـح معقـدًا غـير مفهـوم.. يحـاول يـاسر بمقبـض البـاب ولكـن بلاجـدوى.. صراخ يـاسر عـلى عبـد الجبـار لا يفيـد، لا مُجيـب، وحـدك الآن مثـل كل مـرة، ولكـن تلـك المـرة ليـس وهمًـا، تلـك المـرة حقيقـة.. فجـأة أسرع خالـد باتجـاه يـاسر بعنـفٍ شـديدٍ.. حتـى انقـضَّ عليـه وأسـقطه أرضًـا.. ثـم زأر كالأسـد المنتـصر في معركـة البقـاء للأقـوى، وذلـك المخـاط الأزرق يتسـاقط عـلى وجـه يـاسر، حينهـا سـمع صـوت خطـوات تتهـادى بهـدوءٍ.. تقـترب ناحيتهـم، حتـى ظهـرت مـن غرفـة داخليـة مـن غرفـة الشـيخ مـرزوق، سـيدة ذات شـعرٍ كثيـف يغطـي وجههـا، ترتـدي فسـتانًا أزرق داكنًـا، خرجـت مـن الغرفـة تتهـادى كملكـة تسـير بـين العامـة في كبريـاء، وقالـت:

- أنـا نائلـة بنـت إبليـس ذات الشـعور المائلـة.. إحنـا عمرنـا مـا بنظهـر لمخلـوق أدنـى مننـا.. لكـن انـت وضـع تـاني.

بقـي يـاسر صامتًـا، لا أحـد يـدري مـا شـعوره الداخـلي، وخالد مـن فوقـه مثـل كلـب صيـد يحرسـه بعنـف.. الرعـبُ أصبـحَ أقـل شـعور يُذكَـر.. تعـوُّد أم عـدم إحسـاس بـالألم؟.. لا أحـد يـدري، حينهـا كانـت ذات الشـعور تتوجـه ناحيـة مكتـب الشـيخ مـرزوق..

ثـم جلسـت بهـدوء، وأمسـكت قلـمًا موضوعًـا عـلى المكتـب بـين يديهـا مـن أطرافـه، ثـم قالـت بنـبرة هادئـة:

- أنـا جيـت لـك بنفـسي عشـان نتفـق عـلى العقـد.. عقـد الخـلاص.. إنـت الـلي فاضـل في نسـل عـدلان.. أكيـد أنتـم أصعب عائلـة دخلناهـا.. لكـن مـا حـدِّش قِـدِر يوقفنـا غـيره.

«عدلان».. . والسر اللي معاه صعب جدًّا حد يقدر ينفذه.

سـهل جـدًّا إن إحنـا نقتلـك في لحظـة، بـس نشـوة الاسـتمتاع بالتعذيـب النفـسي حاجـة مـا نقـدرش نسـتغنى عنهـا، إذا كنتـم يـا بـشر جنسـكم أرقـى.. إحنـا جنسـنا أقـوى، ثـم وقفـت وتحركـت ناحيـة يـاسر وهـو ملقـى عـلى الأرض في كبريـاءٍ شـديدٍ، حتـى وصلـت إليـه وأشـارت إلى خالـد بالبعـد عنـه، ثـم اقتربـت مـن وجهـه وهـو يحـاول أن يبعـد رأسـه قـدر مـا يسـتطيع، ونظـرات التعجـب والدهشـة والرعـب بـدت واضحـة عـلى يـاسر، عندمـا أظهـرت وجههـا مـن خلـف ذلـك الشـعر الكثيـف، حتـى ظهـرت «مارجريـت» مبتسـمة تلـك الابتسـامة الخبيثـة، ثـم قالـت:

- قُلـت لـك إن مهـما صدقـت واقعـك.. وَهْمِنـا هيكـون أوقـع.. المهـم يـا حبيبـي.. أنـا جيـت لـك برسـالة، ولازم تقبلهـا.. أو النهايـة هتكـون أسرع.. القبيلـة بتعـرض عليـك عـرض

أنـا شـايفة إنـه مناسـب: اتفاقيـة الخـلاص.. أو مـوت خالـد.. دا هيكـون اختيـارك.. معـاك اللعبـة بتتغـير.. قُلـت لـك مـن قبـل إنك الأخـير، ومتعـة الأخـير هتكـون مختلفـة.. الـسر الـلي في كتـاب عـدلان.. صعـب إن حـد ينفـذه بسـهولة.

ثـم وقفـت، تركتـه بحيرتـه ونظراتـه الشـاردة وعقـل متوقـف عـن التفكـير.. عـرض مميـت.. والاختيـار هـو الأصعـب.. استمرت مارجريت بالسير نحو بـاب الغرفـة، وكان خالـد واقفًـا بنفـس حالتـه، ثـم وقفـت بجانبـه.. وأشـارت بإصبعهـا إلى خالـد بـلا أي اهتـمام دون النظـر لـه أو ليـاسر وقالـت:

- اعـرف اختيـارك، وعنـد اكتـمال القمـر هنكـون معـاك.. يـا الخـلاص.. أو خالـد.

ثـم توجهـت برأسـها إلى خالـد تاركـة قُبلـة في الهـواء، وكأنهـا قبلـة مـن جهنـم، وأشـارت إلى خالـد بالهجـوم عـلى يـاسر، حتـى انقـضَّ عليـه بقفـزة واحـدة أصبـح عـلى صـدر يـاسر.. وهـمَّ أن يقضـم وجهـه، إلا أن يـاسر أخـذ يحـاول باسـتماتة إبعـاد خالـد عنـه.. ويـاسر يـصرخ محـاولًا إثنـاء خالـد عـن الاتفـاق عليـه.

- خالد.. خالد.. صريخ أصبح صياحًا على خالد

.. . خالد.. خالد.. خال..

فجأة صاح خالد مناديًا:

- ياسر.. ياسر.. مالك.. فوق يا ياسر..

حينهـا بـدأ يـاسر يفتـح عينيـه، وجـد خالـد واضعًـا يـده عـلى صـدره محـاولًا إفاقتـه، والشـيخ مـرزوق يهمهـم في سر لا تسـمع منهـا شـيئًا، ولكـن حـركات شـفتيه تعطيـك إيحـاء أنـه يتكلـم.. نظـر يـاسر إلى خالـد.. قـال في تعـب:

- كنت متأكد إنه وهم..

تنهيـدة الارتيـاح والاطمئنـان مـن يـاسر جعلـت الشـيخ مـرزوق.. يقاطعـه بحـدة وعنـف:

- قُلت لك لما مارجريت تشوف إنك في حالة عدم إدراك للواقع.. حاول تفوَّق نفسك بأي طريقة لأن لو وصلتك الرسالة اعرف إن لا محالة عن إثنائهم من فعلها.. ياسر.. إنت لسه ما بدأتش معاهم حاجة.. كل دا تجهيز لما هو أروع وأصعب.

ياسر وهو ما زال ممددًا على الأرض:

- وقت اكتمال القمر.. عايزين منّي رد في الاختيار.. يا «اتفاق الخلاص».. أو خالد.

نظر خالد محدقًا برعب والعرق يتصبب من جبهته:

- إيه؟

إيه.. هو خالد مين اللي في الاختيار يا ياسر؟

نظر له ياسر بلا أي إجابة، حينها خالد أصبح كالمجنون..

لطم وعويل.

- أنا كان مالي بليلة زى دي... ماهي قالت لي رقية مالكش دعوة.

قطعه الشيخ مرزوق:

- اكتمال القمر.. بعد ليلتين كاملين

.. يعني ٨٤ ساعة.

ثم ذهب مسرعًا إلى مكتبه يتصفح الكتاب في عجالة، وأخذ يقرأ منها في سر، ونظر لياسر وخالد وقال:

- إحنا لازم نسافر المكسيك حالًا!

❊ ❊ ❊

الحلقة الثامنة عشر

المكسيك

«لازم نروح المكسيك حالًا!»

تلـك الجملـة جعلـت خالـد أشـد جنونًـا ويـاسر بحيرتـه وسـؤاله السـري الخفـي.. نهايـة اللعبـة أم بدايتهـا؟ اختيـار بـين الصعبـين.. نفـسي.. أم خالـد ابـن خالتـي وصديقـي الوحيـد؟.. اختيـار صعـب.. ملامـح شـاردة.. حينهـا نظـر لهـما الشـيخ مـرزوق محدثهـما:

-- مالكم؟.. ما حدِّش بيرد ليه؟.. الوقت مش في صالحنا.

نظر له خالد في خوف ورعب.

- أنـا مـالي بالموضـوع دا حـرام عليكـم.. يـاسر أرجـوك خرَّجني من الموضـوع دا..

- أنـا مـا دخلتكـش يـا خالـد عشـان أخرَّجـك.. أنـا مـش عـارف أصـلًا أنـا دخلـت فيـه ازاي.

حينهـا كان الشـيخ مـرزوق في صمـت ينظـر لهـما بتعجـب.. ثـم خـرج مـن صمتـه قائـلًا:

- أول مـرة أشـوف اتنـين يتعزمـوا عـلى المـوت. انتـوا الاتنـين اتكتـب قدركـم خـلاص إنكـم تبقـوا هنـا واتكتـب قدركـم إنكـم تروحـوا عقـر دارهـم.. ولا سـبيل آخـر. آخـر كلمـة قالها الشـيخ حتـى هبطـت طائـرة خاصـة تمتلكهـا تلـك العائلـة الثريـةِ بمطـار المكسـيك.. خالـد ويـاسر ومعهـما الشـيخ مـرزوق قابضًـا عـلى كتـاب الأسرار بيديـه خارجـين مـن البوابـة الرئيسـية لمطـار «بينيتـو خواريـز» بمدينـة «مكسـيكو» عاصمـة المكسـيك.. توقـف خالـد ناظـرًا يمينًـا ويسـارًا باحثًـا عـن سـيارة أجـرة وفجـأة توقـف خالـد ونظـر إلى الشـيخ مـرزوق، وقـال:

- هو إحنا رايحين فين أصلًا؟

- تشكسولوب.

- أيوة يعني نعمل إيه هناك؟.. الوقت بيضيع.

أشار الشيخ مرزوق لسيارة أجرة على باب المطار..

توقفـت سـيارة الأجـرة.. نظـر لهـم السـائق مـن نافـذة السـيارة اليمنـى قائـلًا:

- اوبي جو تو

نظر خالد إلى ياسر والشيخ مرزوق ثم قال:

- طب إيه بقى هنتفاهم مع الناس دي إزاي؟

رد الشـيخ مـرزوق عـلى السـائق وهـو منحـنٍ قليـلًا مـن نافـذة السـيارة:

- تشكسولوب.

نظر ياسر وخالد إلى الشيخ بتعجب شديد.

ردَّ السائق:

- روكسي موس لوك اسيوس نونيسي بريك لومتزونو

فقال الشيخ مرزوق: أوكي.

ركب الشيخ بجانب السائق بالأمام وياسر وخالد بالخلف،حينها كان خالد يقتله الفضول.. الشيخ مرزوق يتحدث المكسيكي!.. صمتوا للحظات حتى قطع الصمت خالد بسؤال لشيخ مرزوق:

- هو انت بتتكلم ميكسيكي ازاي؟

التف له الشيخ مرزوق وردَّ مبتسمًا:

- كنت على عِلم إن هنا توجد أقوى سيدة من البشر على اتصال بالعالم السفلي.. ثم أكمل حديثه:

- في أوائل عام ٠٦٩١، كان هناك بلدة صغيرة في المكسيك حيث الكثير من الأطفال يولدون في نفس الوقت تقريبًا. سكنت القرية امرأة ممسوسة وليست شبحًا. كانت واحدة من بين ٠٠٢ شخص الذين عاشوا في البلدة في ذلك الوقت. يقول الناسَ إنها كانت ساحِرَة تعبد الشيطان. وقال كثير من الناس إنها تخرج إلى الحقول في منتصف الليل أثناء نوم جميع سكان القرية. ادعى بعض المزارعين المحليين أنهم يرونها هناك كلما خرجوا للاطمئنان على حيواناتهم ذلك لأن حيواناتهم تصدر الكثير من الضوضاء كلما اقتربت منهم تلك المرأة.

لكن لم يصدر عن تلك المرأة أي فعل يجعل سكان القرية يخشونها حتى حدث شيء فظيع. في ليلة ما، كان زوجان من سُكَّان القرية نائمين مع طفليهما في فراش واحد لأنهما فقراء

جـدًّا وليـس لديهـم المقـدرة لـشراء فـراش آخـر لأطفالهـا، وبينـما الأم والأب يغطـان في نــوم عميــق، ســمعت الأم أحــد أطفالهــا يبكـي ويـصرخ بصـوتٍ عـالٍ. لدرجـة أنـه أيقـظ الجـيران. بكـى الطفـل كثـيرًا وحاولـت والدتـه إعادتـه إلى النـوم لكـن محاولتهـا فشـلت، فكلـما نـام الطفـل اسـتيقظ بعـد دقائـق فزعًـا.

واصلـت الأم المتعبـة محاولاتهـا لتهدئـة الطفـل حتـى سـمعت صـوت خطـوات أحـدٍ مـا يمـشي خـارج منزلهـم. بعدهـا سـمعت صريـر فتـح البـاب ببـطء وإغلاقـه بصـوت عـال، ذهبـت الأم إلى حيـث البـاب لـترى مـن هنـاك فلـم تجـد أحـدًا، وعندمـا عـادت كان طفلهـا قـد نـام أخـيرًا، انحنـت لتقبلـه لكنهـا وجـدت جسـده بـاردًا جـدًّا عندهـا أدركـت أن طفلهـا قـد فـارق الحيـاة.

رفعـت الأم الغطـاء عـن ابنهـا وتفحصـت جسـده، فوجـدت آثـار كدمـات عـلى بطنـه وذراعيـه. أخـذت الأم تـصرخ قائلـة إن السـاحرة ضربـت ابنهـا حتـى المـوت، وأكـدت عـلى ذلـك بقولهـا إنهـا سـمعت صـوت امـرأة تضحـك خـارج المنـزل.

بعـد سنوات لقيـا طفـلان حتفهـما غرقًـا في النهـر . لكـن رجـلًا أقسَـم عـلى أنـه رأى السـاحرة وهـي تغـرِق الأطفـال في النهـر وكانـت تضحـك بصـوت عـالٍ، وعندمـا وصـل إليهـا كانـت قـد هربـت.. وكنـت بالصدفـة في تلـك القريـة أبحـث عـن السـيدة «خوسـتا» صاحبـة القـدرة عـلى الاتصـال بالعـالم الآخـر، وجدتهـا بـين الأهــالي محاولـة أن تكشـف سر تلـك السـيدة الممسوسـة.. جلسـت أسـتمع لهـا في تركيـز، حتـى أشـارت إليّ وقالـت اسـمي وسـبب تواجـدي هنـا، وطلبـت منـي المسـاعدة قبلـت طلبهـا.

حتـى اسـتطعنا أن نتخلـص مـن تلـك السـيدة الممسوسـة.. بعدهـا طلبـت منهـا أن تعلمنـي شـيئًا عـن الوقـت، وكيـف تسـتطيع إيقـاف الزمـن بالعـالم السـفلي، ولكنهـا أخفـت عنّـي سر التلاعـب في الوقـت، الآن هـي الوحيـدة التـي تسـتطيع أن تسـاعدنا حتـى نـأتي بلُـبّ الصخـور المتواجـدة في تشكسـولوب، مـكان اصطـدام الكوكـب الأزرق، ومـكان تلـك القبيلـة الزرقـاء، في كتـاب الأسرار «كتـب عـدلان»، إن اسـتطاع أحـد أن يـأتي بلُـب تلـك الصخـرة، حينهـا فقـط يسـتطيع أن يوقفهـم.

قاطعـه خالـد:-كل دا هنعملـه.. إحنـا ضيعنـا ٦٣ سـاعة سـفر -ثـم نظـر إلى يـاسر- إوعـى تنـام يـا يـاسر أبـوس إيـدك.

صمـت يـاسر الـذي يتسـبب في قلـق خالـد دائـمًا؛ لأنـه يعلـم أن حالـة الصمـت المُفاجئـة يحـدث بعدهـا أمـرٌ مرعـبٌ، حينهـا قـال الشـيخ مـرزوق- الشـيخ مـرزوق:

- عشـان الوقـت، إحنـا محتاجـين نعثـر عـلى خوسـتا في أقـل مـن ١٢ ساعة.

ردَّ يـاسر: طريقـة الوقـت مختلفـة يـا شـيخ.. حسـاباتهم للوقـت بتتغـير كل يـوم.. يعنـي إحنـا فاضـل لنـا تسـع سـاعات بـس.

نظر ياسر بتعجب وقلق، وقال:

- لأ بُص يا ياسر، إنت سكوتك أحسن.. إسكت يا ياسر.

حينهـا قاطـع خالـد صـوت فرملـة السـيارة المفاجئـة، وأمامهـا شـخصان ملثـمان يشـبهان عصابـات المكسـيك وبيديهـما سـلاح ناري.

***



الحلقة التاسعة عشر

الوقت

دائـمًا مـا يكـون الوقـت هـو العـدو الأول للإنسـان، يصبـح الوقـت هـو الأهـم عندمـا يرتبـط بحياتـك، ولكـن مـع يـاسر الوقت أصبـح لعبـة يتغير ويتبـدل عـلى حسـب مجريـات الأمـور.. الأمـور تتصعـب.. الوقـت أصبـح مختلفًـا.. والسـيارة الآن مـع عصابـة مكسـيكية.. توقفـت السـيارة فجـأة فرامـل قويـة جعلـت خالـد ويـاسر يصطدمَـان بالكـراسي الأماميـةَ والشـيخ مـرزوق بهدوئـه وذكائـه ناظـرًا بابتسـامة الواثـق، وفـردا العصابـة الملثمـين واقفـين يشـيران لهـما بأسـلحتهما بالنـزول مـن السـيارة،

حينهـا فتـح السـائق البـاب وبـدأ ينـزل مـن السـيارة واضعًـا يده خلـف رأسـه في رعـب خـوف، ملامـح وجهـه وكأنـه يبكـي ولكـن بـلا دمـوع، والشـيخ مـرزوق مـا زال بالسـيارة ناظـرًا لهـم بابتسـامة اسـتفزت الملثمـين وجعلتهـما يطلقـان بعـض الطلقـات بالهـواء إرهابًـا.. يـاسر بالخلـف شـاردًا لا تخيفـهُ الأسـلحةُ ولا الملثـمان هـذا أقـل مـا يذكـر في ترعيبـه أو تخويفـه، أمـا خالـد فأخفـى رأسـه خلـف الكـرسي الأمامـي، تحسـبًا لأي إطـلاق نـار عـلى السـيارة،

بـدأ الملثـمان في التوجـه إلى بـاب الشـيخ مـرزوق، ثـم فتحـا البـاب وجذبـاه بشـدة حتـى سـقط عـلى الأرض، حينهـا علـم خالـد أنهـم هالكـون لا مفـرَ هالكـين.. الوقـت أوشـك عـلى الانتهـاء.. وحتـمًا سـتنتهي حيـاة أحـد منـا.. فتـح خالـد البـابَ في صمـت ونـزل رافعًـا يديـه ثـم جثـا عـلى ركبتيـه بجانـب السـيارة، أمـا يـاسر فظلَّ في السـيارة بـلا أي حـراك، شـاردًا لا خـوف ولا رعـب ولا أي ملامـح تذكـر، وكأنـه ميـت عـلى قيـد الحيـاة. فتـح الملثـمان البـاب وجذبـا يـاسر بقـوة.. ولكنـه كان كالصخـرة لم يتحـرك قيـد أنملـة.. استشـاط الملثـمان ووجّهـا أسـلحتهما وهمَّـا أن يطلقـا النـار عـلى يـاسر.. إلا أن الشـيخ مـرزوق وبصـوت عـالٍ قـال لهـما:

-إندكاريـوم سـت كونسـليوم كواريمـوس ماجنيـوم دزاوريـوم ممـاريـس خوسـيا تشكسـو لـوب.

حينهـا التفـت إليـه الملثـمان في صمـت وبـلا حـراك وأعينهـم تخـرج منهـا ملامـح التعجـب والفضـول والطمـع، والسـائق كـما هـو حالـه ولكـن صدمتـه مـن الشـيخ مـرزوق وحديثـه عـن كنـز مدفـون في تشكسـولوب جعـل الطمـع يسـاوره، وخالـد بـالأرض لا يفهـم شـيئًا كالأبلـه ناظـرًا ومنتظـرًا إلى مـاذا سـتئول الأمـور بعـد؟، ويـاسر بالسـيارة حالتـه هـي حالتـه متقلبًـا كتقلـب الكوكـب وبسرعـة كسرعـة تطورهـم.. أحيانًـا يكـون بخـير وأحيانًـا يكـون غـير مـدرك للواقـع.. وكثـيرًا صامتًـا.. . كل مـا كان يرعـب خالـد أن يغفـو يـاسر ويحـدث أمـرٌ آخـر.. . حتـى الآن الوقـت يتناقـصُ بسرعـةُ رهيبـةُ.. . والحـربُ الآن ضـد الوقـت وليـس القبيلـة، وقـف الشـيخ مـرزوق وتوجـه إلى الملثمـين في ثقـة وشـجاعة.. واقـترب مـن أذن أحدهمـا وهمهـم بصـوت خفيـض، ثـم تحـرك إلى

خالـد وأشـار إليـه بالوقـوف وهـو يحاول مـع يـاسر بالنـزول مـن السـيارة.. حتـى نـزل يـاسر، وتحركـوا جميعًـا خلـف الملثمـين ماعـدا السـائق.. ولا أحـد يعلـم إلى أيـن..

لكن الفضول القاتل بداخل خالد.. جعله يسأل الشيخ:

- إنت قُلت لهم إيه؟.. ورايحين فين؟

- الطمع يا خالد يخلي البشر بلا عقل.

- أيـوه يعنـي هياخـدوا فديـة؟.. مـش هنلحـق يـا شـيخ. الوقـت يـا شـيخ أبـوس إيـدك؟

- مـا تقلقـش.. أنـا قُلـت لهـم إن احنـا بنـدوَّر عـلى السـيدة خوسـيا لأنهـا تملـك سر كنـز مدفـون في تشكسـولوب.

ردَّ خالد:

- إإإيـه.. طـب ليـه يـا شـيخ؟ مـا كنـت قريـت عليهـم تعويـذة وخلصتنـا.

- وأسـيب فرصـة إن عصابـة زي دي تقـدر تجيـب لنـا «خوسـيا» في أقـل مـن ربـع سـاعة.

- مش سهل انت يا شيخ.. أنا بدأت أخاف منك.

ابتسـم الشـيخ وخالـد، واسـتمروا في السـير خلـف الملثمـين.. حتـى توقفـوا أمـام مبنـى قديـم متهالـك مهجـور، لـه بوابـة كبيرة حديديـة. واقـفٌ عـلى جانبيـه حـراس حاملـين أسـلحة ناريـة وعيونهـم تشـع غضبًـا وكأنهـم خلُقـوا بتلـك الملامـح، وقـف الملثـمان يتشـاوران حتـى فُتِـح البـاب ودخـلا وخلفهـما يـاسر والشـيخ مـرزوق، بينـما وخالـد شـاردٌ، ينظـر يمينًـا ويسـارًا..



حتى وصلوا إلى رجل جالس على أريكة وأمامه منضدة موضوع عليها زجاجات خمور وبجانبه فتاتان جالستان ملتصقتان به، حينها وقف الشيخ مرزوق أمامه قائلًا:

- إندكاريوم ست كونسليوم كواريموس ماجنيوم دزاوريوم مماريس خوسيا تشكسو لوب.

نظر له الرجل بتعجب وقال:

- نونا استولتي فدتوري؟ديبانشيو كواد دي اريا. اكسفيتا دي ما نوبيس أيوروم. كوا نين دي بتوموصمت حينها الشيخ مرزوق..

وخالد بحيرته يسأل:

- إيه يا شيخ في إيه؟

- عارف أصل المنطقة، بس المشكلة إنه مقتنع أن هناك كنز.

- طب وبعدين؟ الوقت بيضيع يا شيخ أبوس إيدك.

حينها نظر ياسر إلى الشيخ مرزوق وقال:

- اعمل معاه مقايضة..

في حين سأل خالد:

- مقايضة ازاي يا ياسر؟

سأل الشيخ مرزوق:

- مين اللي معاه أرقام الحسابات بتاعتكم؟

ردَّ خالد:

- حسابات إيه؟ أنا مش فاهم حاجة.

قال ياسر موجهًا حديثه إلى الشيخ مرزوق:

- حد يفهّمني طيب في إيه؟

حينها نظر الشيخ مرزوق للرجل المكسيكي وتحدث معه وهو يشير إلى خالد

- لأ بجد هو في إيه؟.. بجد حد يفهّمني.

ردَّ ياسر:

- ما تقلقش يا خالد هنجيلك تاني.

سأل خالد باستغراب:

- هتجولي فين؟

حينها أشار الرجل المكسيكي إلى خالد للحراس.. حينها توجه الحارسان وأمسكا بخالد وسط معافرة منه.. وهو ناظر إلى ياسر..

حينها كان الشيخ مرزوق قد توجه إلى خالد وقال:

- إحنا قبل الميعاد هنكون عندك.

- ولو ماجيتوش

- ولا حاجة، هياخدو أرقام الحسابات..

وهيقتلوك.

❊ ❊ ❊

الحلقة العشرون

الشك

تركا الشيخ مرزوق وياسر خالدًا في قبضة العصابة المكسيكية، وذهبا في رحلة البحث عن «خوستا».. أشياء مريبة وعصابة فجأة تظهر.. والوقت يتغير فجأة.. وأحلام ياسر انقطعت لا مارجريت ولا أوهام.. ولكن أحيانًا الحقيقة تصبح أكبر وهمًا.. والقبيلة من قبل حذرته أنهم سيكونون في كل مكان حوله.. في حقيقته ووهمه.. الآن ياسر في ورطة كبيرة بين الخلاص وخالد.. والوقت.. اللعبة أصبحت أصعب.. والوهم أصبح حقيقة.. مهما كانت أشكال الرعب من تلك القبيلة ليس هناك رعبٌ أكبر من أن يجعلوا حياتك بلا أي حقيقة.. ولا أي وهم.. حينها ترى الصديق عدوًّا والعدو صديقًا.. والشك يجعلك أبله! الحقائق تتغير في عقلك.. الأهم أنك تظل بتلك المنطقة بين الوهم والحقيقة.. وهم يعشقون تلك المنطقة ويجعلون اللعبة أصعب.. أنت الآن بلا عقل.. وستصبح فيما بعد بلا قلب.. تلك هي القبيلةُ الزرقاء.

بتلك النظرات الهادئة والابتسامة التي لا تفارق وجهه قال الشيخ مرزوق إلى خالد:

- لو ما رجعناش.. هيقتلوك.

صدمة جعلت خالد صاحب القلب الضعيف يبكي كطفل فقد لعبة جديدة ناظرًا إلى ياسر وهو بين يدي الحارسين.

إحساس الوحدة المفاجئ قد يجعل الإنسان أمام شعورين: شعور بالخيانة، أو شعور بالعجز.. وفي كلتا الحالتين.. تصبح النفس البشرية بلا روح، ميت على قيد الحياة.. رعب من المجهول، مشاعر متشابكة ولا أحد يعلم متى تتوقف أو كيف.. مشاعر تجعلك بلا أي شخصية.. أبله بلا أي عقل، يتوقف المكان والزمان في عقلك عند بداية شعورك بالوحدة، وليست وحدة فقط، أنت الآن في قلب الخطر، اللعبة الآن أصبحت وقتًا، اختيارًا، بحثًا. الأمور تتصعب أكثر.. وكأنه استدراج للهاوية.. أصبح خالد وياسر مفترقين وكل منهما يحمل شعورًا مختلفًا.

جذبه الحارسان إلى داخل المبنى، وياسر والشيخ مرزوق واقفان منتظرين أمرًا من الرجل الميكسيكي بالخروج، ولكن ياسر ينظر لخالد بنظرات ملؤها الأمل..

وخالد ينظر لساعته بيأس وهو بين يدي العملاقين الملثمين.. أصبح الوقت أقرب، بدأت الشمس بالمغيب، باقي ساعات معدودة..

ياسر لمح تلك النظرة.. شعر بخالد ويأسه، ثم شرد بذهنه قليلًا، من أين دخل قلبه اليأس؟.. وفجأة تحدقت عيناه.

وصرخ.. الترتيب اتغير.. . كان الأول هو الأمل..

صرخ ياسر:

- خااااالد.. . ما تنامش يا خالد.. . إوعى تنام..

والشيخ مرزوق يبحث في حقيبته عن أي أقراص منبهة حتى لا ينام خالد.. شيخ ذكي.. حتى وجدَ.. وألقاه إلى خالد، وهم يجذبونه.. التقطها بصعوبة.. قبل أن يدخلها جيبه انتشلها أحد الحارسين بعنفٍ، ثم نظر على ظهر عبوة الأقراص وضحك باستهزاء وأعطاها إليه مرة أخرى..

قال خالد وهو يضعُ الأقراص بجيبه:

- ياسر.. ما تتأخرش عليَّ.. أنا حياتي.. في إيدك انت.. مش هطلب منك غير إنك تعمل اللي عليك وبس.

أومأ ياسر بثقة وأمل بالموافقة، ثم بدآ يتحركان، ياسر والشيخ مرزوق ومعهما حارس الشخصي للرجل الميكسيكي.. وخالد ذاهب إلى داخل المبنى في حراسة العملاقين، حتى اختفى ياسر والشيخ مرزوق عن أنظار خالد.. لا يعلم إلي أين يذهبان ولا متى سيرجعان.. شعور بالمجهول انتاب خالدًا، ولا يغيب عن ياسر نظرات اليأس التي في عيني خالد، تلك هي نقطة الضعف، حتمًا سيظهرون.. حتما.. حتمًا.. ثم صمتت أفكاره وتوجه إلى الشيخ مرزوق قائلًا:

- شيخ مرزوق.. الترتيب يا شيخ.. دا فخ.

ردَّ الشيخ مرزق بقلق:

- مش فاهم فخ إيه؟

- كتاب جدك اللي قايل إن السر هنا.

- مارجريت قالت لي في حلم من الأحلام إن الترتيب اتغير.. وبعدها عرفت إنه الترتيب هو اللعبة. ما كانش من ضمنها الوقت.. وكمان كان أولها الأمل.. ولكن لما اتغير الترتيب، أصبح الوهم أولًا. خالد نظرة عينه فيها يأس.. ودا معناه إنهم مش عايزينه هو.. دول كانوا بيستدرجوني أنا لهنا.

- طب ليه؟.. عايزينك هنا ما هم ممكن يجيبوك من أي مكان.

- عشان الكتاب.. الكتاب دا في حاجة تانية.. غير حكاية لُب الصخور.. هات كدا ياشيخ الكتاب دا.

بدت نظرات القلق على الشيخ مرزوق عندما طلب ياسر الكتاب.. وقف متحجرًا.. ذلك الذكاء الخارق.. وقف بلا أي حراك، يبدو عليه شيء خفي.. التقط ياسر الكتاب من الشيخ عنوة، وفتح أولى صفحاته، وجد مكتوبًا عليه:

«أنا «دنهس ابن إبليس» ملك القبيلة الزرقاء أدعو كل من حمَلَ الكتاب أن يوقِّع أدناه، وسيصبح خادمًا لنا، نأمره ويجيب.. هذا هو الخلاص، وإن لم يوقع سيصبح وهمه حقيقة.. وحقيقته وهمًا، سنقتلع آماله وطموحاته حتى يصبح هو وهمًا بين البشر، حتى نأتي إليه في وقت صمته ونقتلع قلبه. يقرأ ياسر وسط دهشة وذهول.. الأمل بدأ ينطفئ وملامح الشيخ بدأت تتغير، ملامح السماحة قد اختفت والابتسامة الواثقة تحولت لابتسامة الخباثة.. الشر الخفي قد ظهر الآن.. وياسر بذهول ما زال يقرأ.. حتى وصل إلى التوقيع.. وجد توقيع الشيخ مرزوق، نظر ياسر إليه بغضبٍ.. وقال:

- أنـا مـا بقتـش فاهـم حاجـة.. هُمَّـا كل النـاس.. وكل النـاس هُمَّـا.. يعنـي حكايتـك عـن جـدي.. سراب.. وكلامـك عـن عائلتي مـا حصلـش.. طـب وخالـد ذنبـه إيـه؟ ليـه؟.. هـو إحنـا بقينـا قبيلـة زرقـاء.. وهُمَّـا البـشر.. طـب ليـه أنـا؟

صمـت الشـيخ مـرزوق.. فـلا إحسـاس بالذنـب ولا حتـى ضمـير يذكـر.. ثـم قـال الشـيخ مـرزوق:

- اسأل خالد.

❊ ❊ ❊

الحلقة الواحد وعشرون

الشك

أصبحت الأمور متشابكةً.. الخيانة محيطة بكل شِبرٍ حول ياسر، كلهم أصبحوا القبيلة الزرقاء.. لا مفر منهم. يحيطون به من كل اتجاه، ولكن آخر ما كان يتصوره هو خالد صديق عمره وابن خالته، ثقته به لا حدود لها، أبعد من خياله وأحلامه أو حتى أعمق أوهامه أن يكونَ لاعبًا من ضمن تلك اللعبة، ولكن الحقيقة الآن أنهم بالفعل يحيطون به ،. وحين تصبح اللعبة بين يدي البشر.. لا طموح يسلبونه ولا ألم يمتصونه، ولكن يجعلونك في الحقيقة واهمًا بالشك، وسوسات البشر أصعب من شيطان يحكم نفس وشهوات إنسان.

الشك شعورٌ أصعب من الألم.. أصعب من فقد الأمل.. بكلمة واحدة من مرزوق أصبح ياسر بعالم الشك حائرًا.. ليس خالدًا.. لمَ لا؟.. هو من اقترح عليه مرزوقًا هو من يعرفه جيدًا.. يحضر له جلساته الروحانية.. الشك الآن ضرب قلبه بقوة، شعور بالخيانة، أم شعور بفقد الأمل الوحيد؟؟.. ولكن كيف أصبح منهم؟.. كيف وافق على خيانته؟..

خالـد ليـس قريبًـا بـل صديـق العمـر.. لـن يصبـح الإنسـان بـلا أمـل إلا عندمـا يُخـان.. يصبـحُ الأمـل معدومًـا.. كذلـك هـي اللعبة إذا؟.. الحقيقـة.. أم هـذا الوهـم.. يـاسر أصبـح تائهًـا بـين الأمـور المعقـدة تمامًـا.. شـعوره بالخيانـة قـاسٍ، ولكـن دون الشـعور بـالألم قـد سُـلب منـه.. شـعوره بالخيانـة أفقـده الأمـل.. هـذا مـا تريـده القبيلـة.. فَقْـد الأمـل.. ولكـن بطريقتهـم.

نظر ياسر للشيخ بدهشة وصدمة كبيرة عندما قال له:

- اسأل خالد..

التفـت يـاسر بسرعـة متجهًـا إلى ذلـك المبنـى الخـاص بالعصابـة الميكسـيكية، وبأعـلى صـوت يملكـه يصيـح عـلى خالـد، وحينـما دخـل مـن البـاب الرئيـسي مسرعًـا. كان في انتظـاره الحـراس، ضربـه أحدهـم عـلى رأسـه مـن الخلـف فأسـقطوه أرضًـا فاقـدًا للوعـي تمامًـا، وفي نفـس ذات الوقـت كان مـرزوق يـصرخ عليهـم ألا يفعلـوا.. ولكـن بعـد أن فـات الأوان، بـدأ مـرزوق ينظـر حولـه بـكل مـكان في رعـب وكأنـه منتظـر شـيئًا يحـدث، حتـى جثـا عـلى ركبتيـه وسـجد كأنـه يصـلي في خـوف وظـل يهمهـم بكلـمات خفيضـةٍ، حينهـا أخـذ الظـلام بالتقـدم رويـدًا رويـدًا، والسـماءُ تلبـدت بغيـوم كثيفـة حجبـت بقايـا ضـوء النهـار فجـأة وريـاح قويـة اقتلعـت البوابـة الرئيسـية للمبنـى، ومـازال الشـيخ مـرزوق سـاجدًا كـما هـو، كل مـن كان موجـودًا تطايـر كورقـةٍ رفيعةٍ تسـقط مـن أعـلى بنايـة مئـة دورٍ، إلا يـاسر والشـيخ مـرزوق..

سُـمع صـوتٌ عظيـمٌ قادمًـا.. زمجـرة مرعبـة.. لا زئـير أسـد يشـبهه ولا حتـى صـوت نعرفـه، ولكـن هـو صـوت الرعـب حقًّـا..

صـوت يدخـل في أعـماق وجدانـك يهـز أدق مناطـق إحساسـك وكأنـه يسـلب شـعورك بـكل شيء ولا يتبقـى منهـا إلا إحساسـك بالفـزع.

الصـوت: مـرزوق.. قلـت لـك مـن البدايـة إنـك لا تصلـح لنـا، الآن أصبـح يـاسر يشـعر بالخيانـة.. والخيانـة يتبعهـا الانتقـام.. الانتقـام يحتـاج للصـبر.. والصـبر هـو أسـاس الأمـل.. أعلـم أنـك منتـهٍ.

حينهـا انتـشر الدخـان الأزرق بأرجـاء المـكان بأكملـه.. وصوت صراخ أُنـاس يتعـالى كأنهـا تتهـاوى مـن مـكان شـاهق.. وخالـد بآخـر المبنـى يتصبـب عرقًـا والخـوف يتملكـه.. يعلـم أن القـادم مرعـبٌ.. . منتظـرًا النهايـة.. صـوت الـصراخ أرعبـه، ينظـر مـن بـين القضبـان ولكـن لا يـرى إلا دخانًـا ولا يسـمع إلا صراخًـا، ويـاسر عـلى الأرض مُلقـى فاقـد الوعـي تمامًـا، والدمـاء تسيل مـن رأسـه، وتلـك العصابـة قـد اختفـت تمامًـا وكأنهـا لم تكـن. ومـا زال الصـوت يتحـدث مـع الشـيخ بقسـوة وشر:

- قلـت لـك أريـد يـاسر فقـط.. أريـده أن يوقِّـع عـلى الخلاص.. نحـن نريـده معنـا.. وأنـت مـن أفقدتنـا أول تجربـة.. أنـت منتـهٍ لا محالـة.. ثـم فجـأة صمـت كل شيء. وسُـمع صـوت الشـيخ مـرزوق.. يتعـالى.. يترجـى المجهـول:

- خلاص هنفذ كل اللي تأمرني به.. إلهي..

«دنهـس».. أنـا هصلَّـح كل دا.. أنـا عملـت أحسـن مـن الـلي طلبتـه.. خليـت الشـك يدخـل قلبـه.. إدينـي فرصـة..

حينها صدر صوت زمجرة عظيمة.. وبعدها.. صمت.



والشـيخ مـرزوق كالحجـر والدمـوع تسـيل مـن عينـه.. أنـين مكتـوم يريـد التحـدث ولكنـه مُلجـم.. يحـاول التحـرك ولكنـه كالصنـم، والأمـل في الحيـاة مـا زال موجـودًا، حتـى وإن كان مجـرد حركـة بعينـه إلى خالـد.. يعلـم أنهـم يقـرأون أفـكاره.. يعلـم أنهـم يريـدون يـاسر بـأي طريقـة وأي شـكل.. حينهـا قـال «دنهـس» ابـن إبليـس ملـك القبيلـة الزرقـاء:

- إممممممـم. حياتـك غاليـة لدرجـة إنـك تخـون جنسـك.. ههههههـه. ويقولـوا إنكـم الجنـس الأرقـى.. أنتـم لا شيء.. أنتـم أدنـى مـن جبـل أصـم.

ثـم ضحـك ضحـكات عاليـة مسـتهزئًا بضعفـه وجبنـه. أحيانًـا الجبـن يجعـل منـك إنسـانًا .لكـن كثـيرًا مـا يصنـع منـك شـيطانًا خفيًّـا.. ولكـن تلـك المـرة أفلـت الشـيخ مـرزوق.. وهـذا نـادرًا مـا يحـدث.. أن يفلتـوا فيـه أحـد.. ولكـن مـا أحـس بـه مـن خبث وشر بداخـل الرجـل جعلـه يفلتـه.. مـرزوق الآن.. أصبـح شـيطان إنس يسـير بـين النـاس، لذلـك أعجـب بـه دنهـس ابـن إبليـس ملـك القبيلـة الزرقـاء.

وبـدأ الدخـان الأزرق يتلاشـى، والظـلام مـن حيـث أتـى، وخالـد مـن خلـف القضبـان يـرى ذلـك برعـب، والشـيطان مـرزوق ناظـرًا لخالـد متجهًـا إليـه في تلـك الغرفـة ذات الأبـواب القضبانيـة، حتـى وصـل إليـه محدثـه بنـبرة خبيثـة كوسوسـة الشـيطان.

الشيخ مرزوق بخبث شيطاني:

- مـا كنتـش أعـرف إنـك بتحبـه أوي كـدا.. بـس كـمان انـت

ما تعرفش هو كان هيعمل فيك إيه.. عارف أنا كنت بتحايل عليه.. عشان نرجع لك لكن للأسف هو كان رافض.. حتى ما رضتش أتحرك إلا لما أقنعه لكن هو صمم، ولما صممت على كلامي خطف منّي الكتاب وجري على رئيس العصابة عشان يقول له إن مافيش كنز، كان هيضحي بيك يا خالد.

ينظر خالد للشيطان مرزوق.. حديث لا يُصدَّق وغير مقنع حتى.. ليس ياسر من يفعل ذلك.. بدا حينها ياسر يتحركً ببطء ويرجع له الوعي.. والشيطان مرزوق ما زال يقنع خالدًا أن ياسر قد خانه.. وفجأة.. امتلأت الغرفة بدخان أزرق.. وصوت خالد يتباعد وهو يقول: ياااااااااسر.



الحلقة الثانية والعشرون

الانتقام

وسوسة الشيطان مرزوق لخالد.. لم تثمر بشيء. مهما كان خالد شخصية ضعيفة جبانة.. إلا أنه ما زال يملك شيئًا مهمًّا لكل نفس بشرية.. العُذر.. سنوات العشرة الماضية كانت حائطًا منيعًا لأي وسوسة إنس شيطانية تجعل منه رجلًا بلا عقل أو رحمة.. التماس الأعذار فن وقدرة على أن تكون رحيمًا، والرحمة الإنسانية هي أسمى وأرقى وأفضل وأعلى المشاعر الإنسانية؛ لذلك.. اختفى خالد.. تأكدت القبيلة الآن أن خالدًا هو الأمل الحقيقي لياسر.. تأكدت أنه إن مات خالد.. مات الأمل الوحيد لياسر، وحينها سيصبح من السهل سلبه منه.

دخان أزرق كثيف ملأ الغرفة بأكملها والشيطان مرزوق واقفٌ يعلم ما هي النهاية.. يشبه الإنسان ولكنه شيطان حقيقي.. ابتسم حينها، وبخبثٍ التفت إلى ياسر وأسرع إليه مهرولًا.. وياسر يحاول تمالك نفسه للوقوف ممسكًا برأسه من الخلفِ، ينظر إلى المكان باستغراب شديد وكأنه يراه لأول مرة، وكان مرزوق ينادي على ياسر من على بُعد أمتار واضعًا

يـده حـول فمـه بطريقـة دائريـة كبـوق مكـبر الصـوت، وفجـأة كُتـم صوتـه وألصقـت يـده عـلى فمـه، وظـلام دامـس أتـى مـن بعيـد يسـير عـلى الأرض كسراب الطريـق.. لامع بنجـوم مضيئـة تسـير كأنهـا تطفـو وتغـوص بـين أمـواج الظـلام القادمـة.. لا لا.. القبيلـة الزرقـاء قادمـة مـرة أخـرى.. يـاسر مـا زال ممسـكًا رأسـه مـن الخلـف بيديـه.. محـاولًا التركيـز فيـما يحـدث حولـه.. ومـرزوق يحـاول تحريـك يـده مـن عـلى فمـه، ولكـن لا محالـة فهـي ملتصقـة وكأنهـا جـزءٌ مـن وجهـه.. نظـرات رعـب مـن الآتي.. مـا زال الظـلام يتقـدم عـلى الأرض.. ويـاسر لا حركـة، لا اندهـاش، ولا اسـتغراب كأنـه يعلـم شـيئًا خفيًّـا.. واقفًـا مطمئنًـا. ولكنـه اطمئنـان مريـب، مـا هـو شـعوره مـا زال فاقـدًا الوعـي أم فقـد الذاكـرة.. حينـما تقـدم الظـلامُ وغطـى المـكان بأكملـه، وخـرج مـن بينـه سـيدة عجـوز.. عيناهـا بيضـاوان.. تسـير عـلى الظـلام كأنـه بسـاط ريـح ومـرزوق واقـف بالخلـف.. محـاولات إفـلات يـده من عـلى فمـه بـاءت بالفشـل، حينهـا بـدأ يـاسر في اسـتيعاب مـا يـدور حولـه.. وفي تلـك اللحظـة أصبحـت تلـك العجـوز أمامـه، حـاول أن يهـرب ولكـن تلـك النجـوم المضيئـة ومضـت فجـأة والتهمـت يـاسر وأخذتـه بـين الظـلام حتـى اختفـى.. ومـرزوق ينظـر بـلا أي كلمـة لا يسـتطيع الـكلام، هـو الآن مُلجـم نعـم هـم يعشـقون الصمـت، ولكـن ليسـت تلـك طريقتهـم، ولا بينهـم عجـوز تسـير بـين الظـلام، فـلا نجـوم مضيئـة بـين ظـلام قبيلتهـم.. يعرفهـا مـرزوق جيـدًا.. واضـح مـن نظـرات عينيـه أنـه يعلـم مـن هـي، ومـاذا تريـد. ظلـت تتقـدم إلى أن وقفـت أمـام مـرزوق.. وخـرج مـن ذلـك الظـلام شـعاع ضـوء متجمـدًا رفيعًـا أشـبه بالحبـل

متجهًا إلى مرزوق بروية وهدوء حتى وصل إليه والتف حوله مرات وسط صراخ مكتوم من مرزوق.. وفجأة ظهر ياسر من بين ذلك الظلام كربوت إلكتروني متحرك يتحكم به شيء خفي.. عينه أصبحت بيضاء وقال لمرزوق

- أتذكرني يا «ميخاييل».. شاهد ماذا فعلت بي. أتذكر تلك الليلة يا «ميخاييل»؟ عندما أوهمت القرية أنني ساحرة الشر بالقرية.. وجعلتهم يكرهونني.. وجعلت خوسيا تستدرجني حتى جعلتموني مسخًا.. كل ذلك حتى ترضوا بي القبيلة الحمقاء.. قبيلة الشيطان دنهس.

ما زال ياسر يتحدث بصوتها:

- انتظرت تلك اللحظة من سنوات عديدة.. حتى أشفي غليلي منك، جعلتموني أسطورة مخيفة بين قريتي.. أوهمتموهم.. وجعلتم الوهم حقيقة مطلقة..

نشرتم ظلام العقول بينهم.. لذلك جعلت نفسي نور الظلام.

حينها بدأت تظهر من بين ذلك الظلام رأس سيدة مقتلعة مقلتيها.. ومحفور على جبته «نور الظلام».. اجتذبه بعنف ذلك الشعاع بقوة حتى اقترب منها.. ومدت يدها إلى عينيه وأدخلت إصبعيها حتى اقتلعت مقلتيه وسط صريخ مكتوم لا يستطيع حتى البوح بألمه أو وجعه، الآن علم ماذا تفعل القبيله الزرقاء، علم شعور عندما يسلب منك نورك.. أصبح الآن في ظلام، ولكن ظلام مرزوق أو ميخاييل أصبح ظلام النظر وظلام البصيرة والقلب.. سيظل في ظلامه حتى تأتي

ساعته، ولكن كيف لشخص بذكائه يقع بتلك الغلطة الغبية «القدر!».. أم أوهمه بأنه أذكى من كل شيء سينجيه؟.. الآن فقط علم لماذا تركه دنهس ابن إبليس، ولماذا كانت ضحكة الاستهزاء تلك، كان يعلم أن النهاية قد أوشكت وأصبحت أقرب.. ما زال الصراخ المكتوم كأنين ياسر في أحلامه.. وياسر ينظر بلا عقل ولا وعي.. فاقدًا الواقع.. تقطع أحلامه ابتسامة الشماتة من ياسر المتحول، وقال ياسر:- الآن ستصبح في ظلامك إلى الأبد كما تركتني في ظلام.. القتل رحمة لك.. وأنا لا أريد لك الرحمة.. وفجأة تركه شعاع الضوء حتى سقط على الأرض ولكن يده ما زالت ملصقة على فمه.. نظرت له من عين ياسر، وقالت:

- تذكَّرني دائمًا.. إننا نور الظلام.. لن أترك منكم أحدًا.. وأنا لكم بالمرصاد.. ثم جعلت ياسر يوجه رأسه ناحية الغرب وقالت:

- «يا دنهس».. الآن.. قادمة إليك.. انتظر.. ذلك النور سيسطع بين ظلام قبيلتك..

❃ ❃ ❃

الحلقة الثالثة والعشرون

نور الظلام

لـكل نفـس بشريـة جانبـان متناقضـان، جـزء مظلـم وجـزء مُـضيء.. بينهـما سـاتر يسـتر ظلامـك ويبقـي المُـضيء سـاطعًا براقًـا تـراه النـاس، أنـت الوحيـد مـن يعلـم أي جـزءٍ أنـت منـه.. منّـا مـن هـو ظلامـه قـاسٍ يغلـب ضيـاءه، ومنـا مـن ضيـاؤه مشـع يـضيء ظلامـه، والكثـير منـا بالمنتصـف، ضيـاؤه شـعاع نـور أو خيـط رفيـع يـضيء ظلامـه عـلى اسـتحياء، لكـن مـع نـور الظـلام تلـك السـيدة الممسوسـة.. الانتقـام جعـل منهـا مسـخًا بشريًـا تحكَّـم بهـا الظـلام حتـى جعـل الضيـاء مظلـمًا يخـرج مـن بـين ظلامهـا لينتقم.. الانتقـام يُظلِـم القلـوب والنفـس.. يجعـل الضيـاء الفطـري بداخلـك كالوهـم يقنعـك أنـه الضيـاء، ولكـن حقيقتـه هـي عمـق الظـلام.. وهـذا هـو الأخطـر لأنـه يجنيهـا.. يتحكـم بـك الظـلام واهمًـا إيـاك أنـك مـضيء، وإن أصبـح ذلـك الخيـط الرفيـع مليئًـا بالحقـد والكراهيـه.. يصبـح ضيـاءً مُظلـمًا.. أو «نـور الظـلام».. كانـت تلـك السـيدةُ صاحبـة حكايـة القريـة بالمكسـيك، ولكنهـا ليسـت كـما حكاهـا الشـيطان مـرزوق أو ميخاييـل..

كانت متزوجة من رجل بالقرية، ولكن لم ترزق بأطفال.. كانت تسير بأرجاء القريه تلعب وتلهو مع كل أطفال القرية.. وفي ذات يوم كانت «خوسيا» ومعها ميخاييل، في تلك القرية للبحث عنها بالتحديد لسبب لا يعلمه غيرهما.. الشر الخفي بداخلهما يجعل منهما شيطانين على الأرض يسيران في القرى بحثًا عن ضحايا جديدة لهم.. أو لغيرهم.. لا يدري أحد.. وكانت نور، اسمها نور.. وحقًّا كانت نورًا يشع بين أبناء القرية.. لها سحر فتان.. طيبة لأبعد الحدود.. نقية، لا تعلم في الحياه إلا أنها تريد الإنجاب.. تحلم دومًا بطفلٍ يملأ حياتها بالبهجة والسعادة، وحينما علم زوجها أنها لم تنجب تركها وحيدة بين جدران اليأس والحزن، ولكنها لم تصبح مظلمة، نورها هزم ظلام اليأس، أصبح كل أطفال القرية يحبونها، تذهب معهم البحيرة للاستحمام والغطس، واللهو واللعب، وكانت الأهالي تثق بها ثقة عمياء.. إلى أن وصلت خوسيا العرافة والساحرة الأشهر بالمكسيك ومعها شاب نحيل يملأ عينيه الخباثة والمكر «ميخاييل».. يقولان إنهما يبحثان عن امرأة تصلح للاتصال للعالم الآخر لطرد الأرواح الشريرة من قريتهما، كانا بحاجتها لشيء غير معلوم.. ظلا يبحثان بالقرية حتى التقيا بنور.. لفتت انتباههما.. كان النقاء واضحًا على ملامحها، حتى توقفا أمامها وقال لها ميخاييل:

- أنا ميخاييل من قرية تشكسولوب المجاورة لكم.. هناك بالقرية أرواح شريرةَ حاولنا مرارًا أن نطردها، ولكن لم نستطع.. حتى حدث في يوم أنهم ملأوا القرية بدخانٍ أزرق حتى اختفت معالم القرية كلها.. وسمع صوت أُناس يتعالى

من كل اتجاه وكأنها تسقط من ارتفاع، وفجأة الصمت حان.. سكت كل الصراخ.. وبعد لحظات انقشع الدخان فجأة، وجدنا كل واحدٍ من القرية متجمدًا كالصنم، واقفًا وقلبه منتزعٌ.. فزعت القرية.. منهم من هاجر إلى بلاد أخرى.. ومنهم من ظل فيها.. إلى أن حدث في يوم كنت جالسًا على شط ساحل تشكسولوب وروادني النعاس فنمت. حينها بدأ الفزع الحقيقي.. قبيلةُ من الجن فصيلةُ مهجنةُ جديدة.. فريدة مكثت بباطن الأرض ملايين السنين.. توحشت حتى أصبحت لا تقهر.. ملك القبيلة «ابن إبليس» وملكتهم ابنته. «جنفضائي» سمات الجن وذكاء وتطوُّر الفضائيين..

جاءوا لي في حلمي.. أن أبلغ كل من وقع عليه الاختيار.. منهم مَن هو مولود ومنهم مَن لَم يولد بعد.. وجعلوني أنا الحاصد لهم.. أستدرج ضحاياهم إليهم، وأعطوني ميزة واحدة: أنني قادر على التلاعب بالعقل وجعل كل ما تراه حقيقة حتى وإن كان وهمًا، وبعد ما أفقت من نومي وجدت بجانبي كتابًا مكتوبًا عليه «الأسرار» وأول صفحاته بأعلى منتصف الصفحة اسمي.. وبعدها.. أنا دنهس ابن إبليس ملك القبيلة الزرقاء.. وقِّع على الخلاص تأمن، وإن لم توقِّع سنجعل حياتك مرتبكة وأحلامك حقيقة، وحقيقتك وهمًا حتى تصبح بلا إنسانية، حينها فقط سنقتلع قلبك وسط صريخك المكتوم..

وبنهايتها توقيع فزعت من ذلك الأمر.. وهرعت إلى ابني.. وجدته واقفًا كصنم وقلبه منزوعٌ من صدره ودموعه على وجنتيه لم تجف والقرية واقفة بأكملها بلا حراك.. صدمة

جعلتني أوقِّع على الكتاب بلا تردد خوفًا من بطشهم على باقي عائلتي، حينها علمت أنهم بلا قلب ولا رحمة، وبعدها كانوا يأتونني في أحلامي ويقظتي، حتى توصلت إلى الساحرة خوسيا.. وقالت لابد من التواصل معهم للاتفاق، ولكن لابد من البحث عن شخص يصلح للتواصل. نظرت له نور بهدوء وابتسامة راقية، وقالت:

- وأنا إيه علاقتي بكل الكلام دا؟ أقدر أساعدك بإيه؟ ثم أكمل حديثه:

- «ميخائيل» الهالة النورانية هي عبارة عن طاقةٍ ذات خصائص كهرومغناطيسيةٍ تحيط بالكائن الحي أو غير الحي وتكتسب قوتها من مادة تكوين هذا الكائن، ولا يمكن رؤيتها بالعين المجردة إلا بواسطة القليل من البشر.. وأيضًا الإنسان محاط بهالة مركَّبة من عنصرين، الأول ناري «قرين جني» والثاني نوراني «قرين ملائكي»، وكلما ازداد عمل الإنسان الصالح ازدادت الهالة النورانية التي تحيط بوجهه، ولذلك يقال إن لهذا الإنسان نورًا في وجهه.. ثم قطع حديثه وقال لها بابتسامة خبيثة:

- مثلك أنتِ يا نور، وعلى العكس تتقلص الهالة النورانية وتزداد تلك النارية كلما قام الإنسان بأعمال غير صالحةٍ، وعند أول تأثير في هذه الهالة يتسبب في حدوث اضطراب لدى الإنسان في تصرفاته وسلوكياته ويشعر بأعراض مختلفة غير طبيعية، و «الجنفضائيين »طبيعة أجسامهم تقع في سلم

نفس الترددات الكهرومغناطيسية للإنسان، ولكنها خلف ذلك الضوء المرئي، وعندما يغضب الإنسان ترتفع درجة حرارته وتزيد ضربات قلبه فتؤثر في ترددات الهالة المحيطة وتصبح مشابهة لترددات الجنفضائي، وهنا يصبح من السهل أن يخترقوا جسمه، ويتم التحكم به، هذا ما وجدته عند الساحرة خوستا؛ لذلك من لم يستطيعوا أن يخترقوه . يدخلوه لعبة الوهم والحقيقة.

كانت خوسيا بجانبه تنظر إلى نور محدقةً بها مبتسمة ابتسامة ساحرات القرون الأولى.. بخبث وشر خفي.. حينها كان ميخاييل ذلك الشيطان الإنسي.. مازال يتحدث مع نور.

قال ميخائيل:

- لذلك ظللنا نبحث عمَّن هو صاحب أفضل هالة نورانية حتى نستطيع التواصل مع ذلك العالم الخفي؛ لأن صاحب تلك الهالة هو الوحيد الذي يستطيع أن يذهب إليهم دون أن يؤثروا عليه نهائيًا، وجئنا إلى تلك القرية بعد أن سمعنا عنك وعن صلاحك وطيبتك المعروفة.

نظرت لهم بتعجب شديد، وتوجهت برأسها إلى خوسيا

وهي مبتسمة

ردَّت نور:

- أنا أتأكد منين إنكم مش عايزني لفتح معبر للأرواح الشريرة.

حينها نظر خوسيا وميخاييل لبعضهما بدهشة وقال ميخاييل:

- إنتِ تعرفي إيه عن العالم الآخر؟

- أعرف اللي انتم لسه ما عرفتهوش.. «الجانفضائي»

أنا عارفة قصتكم كويس.. وعارفة إنك كاذب.. ولا أي قصة حكيتها حقيقية.. ولا حلم.. ولا ابنك.. إنت كنت واحد من اللي اختاروه.. وقَّعت على كتاب الخلاص.. وعشان تفضل في مأمن.. أصبحت انت باحث لهم عن ضحايا..

طيبتي ليس غباءً...

قاطعها ميخاييل بعنفٍ مقصودٍ قائلًا:

- عرفتِ منين كل دا؟

- من الهالة اللي حوإليك انت وخوسيا.. هالتكم مميتة زرقاء.. ملامحكم خبيثة وشيطانية.. ودي ملامح القبيلة الزرقاء.. لأني كنت المختارة الأولى.. وأعلمهم وأعلم خدامهم.. وأنا الوحيدة الناجية منهم.. صمتت لوهلة.. ونظرت إلى السماء.. السر يكمن في الخوف.. وأنا مع الله.. الخوف يخليك عبد لغير الله.. زيكم كدا.. إنتم بقيتم عبيد لهم..

وبهدوء نظرت لهم وقالت:

- أنا مش بتعامل مع عبيد الشيطان.

بتلك الجملة استشاطا غضبًا.. وملامح الشيطان أصبحت واضحة عليهما، وخوسيا نظرت لها وقالت:

- هتبقى حياتك صعبة، وهتبقي مسخ بين الناس.

وهيبقى الصمت لغتك.. والناس هتكرهك.. وقتها بس هنعرف مين اللي عبد الشيطان.

ثم تركاها وذهبا، ولكن ما حدث كان قاسيًا على أي نفس بشرية.. أخرجا إشاعات عنها في كل مكان وبفضل سحرهما وطريقة توغلهما بعقل البشر.. جعلوا سكان القرية يكرهونها.. و في ذات يوم.. كانت خارجة من بيتها ذاهبة إلى البحيرة كعادتها، تلهو وتلعب مع أطفال القرية.. وجدت طفلًا ميتًا على شاطئ البحيرة.. أسرعت نحوه لتساعده لعل يكون ما زال هناك أمل، ولكن وهي تجذبه سمعت صوت أناس متجهين نحوها.. «وميخاييل وخوسيا». يشيران إليها بصوت عالٍ..

- قُلنا لكم إنها ساحرة.. شريرة.

نظرت نور ودموع الظُلم الحارقة تحرق وجنتيها في صمت.

❁ ❁ ❁

الحلقة الرابعة والعشرون

نور الظلام ٢

أصبحت نور في موقف عظيم، كل سكان القرية على بعُد خطوات ثائرين مسرعين ناحيتها بكل غضب، صراخ يرج أرض البحيرة، ونور بالقرب من البحيرة واقفة تنظر إليهم بصدمة ورهبة.. تسمع صوت خوسيا وميخاييل يشيران إليها قائلين:

- قُلنا لكم إنها ساحرة تسحر عقول ولادكم.. عشان تقتلهم.

سمعت وهي مصدومة وترى قريتها تتقدم نحوها بغضبٍ عارمٍ تهرع وغبار الأرض يغطي ملامحهم حتى سبقهم ميخاييلُ وأمسكَ بها بقوة وعنف من ذراعها وهي صامتة من هول الصدمة جعلها كالخرساء.. لادفاع عن نفسها ولا عقل يستطيع التفكير، شعور بالظلم... وبفعل سحر شيطاني خبيث.. حتى استطاع ميخاييل أن يربطها بشجرة قريبة بالبحيرة.

تبكي بدموع حارقة تحرق وجنتيها ظلمًا.. تنظر إلى السماء لعل الله يحدث أمرًا.. ولكن قبل أن تتكلم خوسيا،

وقفت أمامها وأخرجت إبرة حادة كبيرة بها خيط غليظ.. وأغلقت فمها كاملًا كأنها تخيط جرحًا عميقًا.. وسط صراخ وأنين مكتوم.. جعلوها خرساء.. وكل سكان القرية قد تجمعوا ناحيتها، منهم من شوَّه وجهها بسلاح حاد، ومنهم من أحرق أطرافها بكل قسوة وغل.. إلا واحدة منهم.. فتاة جميلة.. طيبة خلوقة الوحيدة التي لم تفعل معهم شيئًا، كانت تنظر لها بعين الشفقى من بعيد، من خلف أهل القرية بحسرة وحزن تداري دموعها خوفًا من أن يبطشوا بها هي الأخرى. ونور مربوطةً بالشجرةَ أصبحت مسخًا حق.. تشوهت في كل مكان بجسدها.. ظلت نور على هذه الحال ثلاثة أيام متصلة، مانعين عنها المأكل والمشرب، إلا تلك الفتاة، كانت في كل ليلة بعد سكون القرية جميعها.. تذهب إليها خِلسةً وتسقيها ماء من فتحة صغيرة بفمها قد فتحتها هي لها حتى تستطيع إدخال الماء بفمها.. وفي اليوم الثالث.. فعلت تلك الفتاة نفس الشيء، ولكن تلك المرة شاهدها ميخاييل، وهي ذاهبة إليها، ظل يراقبها من بعيد وما إن وصلت حتى قام بقتلها أمام نور.. ونور بصريخها المكتوم أنين يخرج منها بعنف، وبعد تلك الليلة.. وعندما ذهب ميخاييل إليها.. لم يجد لها أثرًا.. قام بالبحث عنها بكل مكان، ولكن لم يجد لها أثرًا.. هرع ميخاييل إلى خوسيا يخبرها.. نظرت له بدهشة ورعب ضرب قلبها ونبضاته كطبول حرب سمعها ميخاييل وسألها:

- إيه الرعب اللي انتِ فيه دا.. مالك؟

- إحنا لازم نختفي حالًا.. نسيب القرية.. أو البلد كلها؟



- ليه يعني في إيه؟

- الانتقام بيخلي الانسان وحش.. ولا أي تعويذة تقدر توقفه.

ميخاييل بنظرات التعالي: مش هتقدر تعمل حاجة؟

- الهالة اللي كانت بتتمتع بيها نور.. هتبقى أشد عنفًا.. القهر والظلم هيخليها وَحْش حقيقي.. ومش هتكون عشوائية.. لأ.. هتختار.. وبعناية.. واحنا هنبقى أول المختارين.

نظر لها ميخاييل بتكبر:

- مش هتقدر تعمل أي حاجة، إحنا معانا القبيلة الزرقاء.

- ولا حتى القبيلة الزرقاء هتقدر عليها.. إذا كان ما قدرتش عليها من قبل.. هتقدر عليها بعد.. ميخاييل.. سافر.. لأي بلد تانية.

- وانتي هتروحي فين؟

- أنا هختفي في ساحل تشكسولوب.

- ممكن توصل لك.

- لا، دا المكان الوحيد اللي مش هتقدر تشوفني فيه. ما تنساش إن القبيلة الزرقاء.. هالتها مهجنة.. وتطورهم مش بس شيطاني لا كمان فضائي.. صعب اختراق مكانهم إلا إذا...

ثم صمتت ونظرت إلى ميخاييل برعبٍ ثم قالت:

- إلا إذا إيه؟

خوسيا بشرود: إلا إذا حدث اندماج بين هالتها وبين هالة أشد، وقتها بس هتبقى صعب هزيمتها ولا حتى القبيلة الزرقاء نفسها هتقدر عليها.

- وإحنا نعرف منين إنها مش هتلاقيه؟

- القبيلة الزرقاء دايمًا بتدوَّر على أقوى الهالات النورانية دي لأنها أقوى من هالتهم النارية.. الهالة اللي بتكون محيطة بينا بتبقى واضحة بالنسبة لهم حتى لو كانت على بُعد سنوات أو مسافات كبيرة.. وعشان كدا بيدخلوا الإنسان لعبة الوهم، وعشان تبقى مقنعة يبدلوا أوهامه بالحقيقة، والحقيقة بأوهامه.. يعيش كأنه ميت.. وميت كأنه عأيش.. وقتها يفضل الإنسان في متاهة مش عارف باب خروجها.. وفي أول لحظة لليأس يسلبوا منه كل ما يميز تلك الهالة.. وقتها بتكون الهالة النارية أقوى وأعنف وبكدا يقدروا يدخلوا الإنسان ويمتصوا كل الهالة ويبقى الإنسان فاضي بلا ذكريات و لا آمال ولا طموح، ميت على قيد الحياة ولما يسيبوه.. ما يبقاش فاضل قُدَّامه حاجة غير الانتحار.. ويكونوا هُمَّا الفائز الوحيد.. خلوا الإنسانية مميتة.. وفازوا بالهالة لتقويهم أكتر.. الشيطان للإنسان دايمًا بالمرصاد.. ولما خُلق الإنسان.. ومع تكبر الشيطان وتعجرفه.. هو من نار والإنسان من طين.. وعد بأنه يغوي الإنسان بجميع السبل والطرق، ولما علم أن الإنسان بالفعل أقوى.. تطور وخلى أبناءه منتشرين بين البشر.. ولما وجد أن البشر صعب إن يقهرهم.. خلى ابنه «دنهس» يأتي بمخلوقات من عوالم أخرى يستعين بها في حربه ضد الإنسان.. لكن مش بس استعان بيهم دول خلقوا نوع جديد من الجن بقى صاحب هالتين هما الأقوى بين الفصائل.. عشان كدا استمرار الفصيلة دي بالتحديد من استمرار امتصاص الهالات من البشر.. وبكدا أحكم الشيطان قبضتهم على البشر من كل اتجاه.

- طب ما أنا عارف كل دا.. بس انتِ برضو إيه اللي مخوفك؟

- فين كتاب الأسرار اللي معاك؟

- معايا.

- قريته كويس؟

- قريت أول صفحة.

- طب هاته.

- إستني.

يلتقط ميخاييل الكتاب من حقيبة تكون على ظهره دائمًا وقال:

- آهو، اتفضلي.

- لأ افتح الكتاب وهات تاني صفحة.

ميخاييل يفتح الكتاب ويقلب الصفحة الأولى، ويقرأ بصوت مسموع:

- «لكل من حمل كتاب الأسرار ووقَّع على الخلاص يصبح عبدًا لنا وأمرنا نافذ عليه..» ثم قلب الصفحة..

اسم بأول منتصف الصفحة نور، الصفحة الرابعة رانيا، الصفحة الخامسة، وهكذا حتى وصل لآخر صفحة ال٥٣ «ياسر مصطفى عدلان» كانت آخر صفحة بالكتاب.. نظر حينها إلى خوسيا وقال:

- مش فاهم مين دول.

- دول أقوى هالات محتجاها القبيلة، وعشان نأمن من نور قبل ما تلاقي حد منهم.. ونأمن من القبيلة.. لازم نلاقيهم ونخليهم يا يوقعوا على الكتاب، أو نرسلهم إلى مكان القبيلة الزرقاء.

- أيوه بس دول مش نفس البلد.. مفرقين منهم في الهند، وباكستان، ومصر

- لأ مش مهم كل دول، المهم واحد بس.. هو الأقوى.. ونور دلوقتي هتبدأ البحث عنه.

- مين؟

- ياسر مصطفى عدلان.

- لكن دا لسه مش مولود.

- إحنا بقى نحاول إنه ما يتولدش.. هندوَّر على أبوه مصطفى عدلان.

❋ ❋ ❋

الحلقة الخامسة والعشرون

الحكاية

شياطين الإنس هم الأخطر على البشرية، هم الأصعب، هم الأروع والأحقد، لم يكن في حسبان مصطفى عدلان أن القدر سوف يجعل منه ومن ذريته فريسة للقبيلة الزرقاء.. عندما أقرت خوسيا أن ياسر مصطفى عدلان هو ضمن ٥٣ أقوى هالة نورانية تتبعها القبيلة الزرقاء.

قالت خوسيا:

- لازم تسافر مصر حالًا يا ميخاييل، وتحاول على أد ما تقدر إنك تمنع مولده لأنه هيبقى النهاية.

- طب أنا اعرف منين إنه مصطفى أو ياسر؟

- الناس اللي زي دي بيبان عليها السماحة قوي يا ميخاييل.. وأنا هساعدك بشيء مهم بس لما توصل مصر هناك.. كلمني وأنا هوصلك ليه؟

ردَّ ميخاييل:

- أنا حاسس إن الأمور بدأت تتعقد يا خوسيا.



- ما تخافش.

- طب هي نور اختفت فين وإزاي؟

- مش عارفة، بس أكيد حد ساعدها هو فيه في القرية دي عرّافات؟

- لأ

- يبقى لازم نوصل لياسر قبل ما هي توصل له.

- هتوصل له إزاي إذا كان أصلًا ما اتولدش ولا حتى أنا أعرف مكانه.

- الهالات النورانية بتعرف بعض من على بُعد كبير.. ولو حصل وعرفت ووصلت له.. هتبقى فعلا لا تُقهَر.

- هتعرفي تسيطري على الأمور لحد ما أرجع.

- آه، سافر انت بأسرع وقت.

نظر لها ميخاييل بصبر وأومأ برأسه وهو تاركها ذاهبًا لتجهيز مخططه الشيطاني لياسر القدر جعل منه فريسة للشياطين الجن والإنس.. ترك ميخاييل المكسيك وسافر إلى مصر، وخوسيا بالمكسيك اختفت عن الأنظار.. وذات ليلة، في قرية نور وعلى شط تلك البحيرة.. كان يجلس رجل وحيدٌ يلقي بالحصى في مائها.. وفجأة سمع صوت امرأة تئن أنينًا مكتومًا، نظر خلفه وجَد امرأة عجوز مخيطٌ فمها، تسير على بساط ظلام ويخرج منها أذرع بيضاء تتلوى كثعبان تفعيل يرقص على مزمار هندي، فزع وهرع إلى ناحية القرية، ولكن كانت تلك الأذرع أسرع منه.. التقطه من رجله حتى سقط

على وجهه مرتطمًا بالأرض، وقبل أن يصرخ كانت الأذرع سابقة وألجمت فمه حتى كتم صوته وأنين صراخه أصبح كالعدم.. وما زالت تلك السيدة واقفة وجهها مغطى بغطاء أسود كسواد الليل في صحراء بلا قمر، ويدها تحركها وكأنها تتحكم بالأذرع بإشارتها.. حتى جذبته إليها.. وقالت له:

- مش فاكرني.. أنا نور.. لكن ما بقتش نور.. أنا بفضلكم بقيت نور الظلام.. ثم جذبته أكثر إليها حتى التصق وجهها بوجه.. وقالت نور الظلام:

- قُل لأهل القرية كلها.. أنا في الطريق.. لن يسلم من أي فرد.. الانتقام قدركم.. هجعل نوركم ظلام.. وظلامكم أشد ظلام.. لن يأمن مني مخلوق.. حتى تأتوني بخوسيا وميخاييل.. لكم مني فرصة حتى اكتمال القمر.

ثم رمته بعنفٍ فسقط على الأرض محاولًا تمالك نفسه.. ثم تركته نور الظلام وعادت من حيث أتت.. عادت إلى المجهول.. لا أحد يعلم كيف اختفت، ولا أحد يعلم كيف ظهرت.. مجهول!.. هرع الرجل إلى القرية وأخبر كل مَن قابلهم، وعندما وصل إلى بيت الفنانة التي قتلت على يد ميخاييل.. خرجت له.. سيدة عمياء تحدثت بهدوء وطيبة كبيرة.. وقالت السيدة: أيوه مين؟

- أنا رودريجيز.

- أساعدك بإيه؟

- عاوز أخبرك بأمر جلل.. فاكرة نور؟

تغيرت ملامح السيدة وظهر عليها الغضب الشديد وقالت:

- أنا مش فاكرة غير رانيا اللي اتقتلت على إيد ميخاييل.

- اللي قتلتها كانت نور.

- عايز إيه؟

- مش أنا، دي هي نور.

- مالها؟

- اتغيرت وبقت مسخ عظيم.. وقالت إنها مدّيانا فرصة لاكتمال القمر لو ماجبناش ميخاييل وخوسيا هتبقى أيامنا ظلام.

ردت السيدة بـ: إممممممم..

ثم أغلقت الباب في وجهة فجأة، وذهبت إلى حجرتها وأخرجت من تحت سريرها علبة، وأخرجت منها خاتمًا ذهبيًّا بمنتصفه جوهرة بيضاء كبيرة.. وقالت السيدة:

- حان وقت الانتقام يا نور.



الحلقة السادسة والعشرون

الحكاية (٢)

سحر الظلام وفن الظلام الذي يشير إلى العمل على توريط الجوانب المبعدة والملتوية والمنسية للطبيعة وللنفس، النية الشريرة ليس بالضرورة أن تكون موجودة في ساحر الظلام. فنون الظلام أيضًا مجموعة من الأساليب لتحقيق معرفة ذاتية حقيقية وتحرر العقلي.

وعندما تعلَّم الإنسان الكتابة أو الحفر والنقش نقل كل ما يدور في ذهنه أو مارسه من خوف وعطف إلى الصخور في هيئة رسوم وأشكال مختلفة تعبر عن كل النواح المذكورة ونقلها إلى التماثيل حسب الصورة في ذهنه.

ولما ارتقى الإنسان إلى الكتابة ترك مخلفات كثيرة من مخطوطات ومكتوب ومنقوش ليدلنا على مبلغ اهتمامه بالسحر إلى يومنا هذا، وبذلك سيستمر بوجود عامل الخير والشر.

وأول من استعمل السحر هم أهل الفرات السامريون قبل ظهور المسيح بخمسة آلاف عام، وكذلك الكلدانيون

والأشـوريون ونقلـوا السـحر إلى أقبـاط مـصر، وانتقلـت إلى الهنـد والصـين وأورُبـا وأفريقيـا وأمريـكا وباقـي العـالم.

واختلفـت الآراء في معرفـة أول سـاحر، ولكـن أغلبيـة الـرأي تؤكـد أن ذر يـة هابيـل هـم أول مـن مـارس السـحر بمدينـة بابـل، وقيـل أن هـام ولـد نـوح عليـه السـلام، كان مـن الأوائـل، وكان آويًـا إلى جبـل خـاص ناجـى فيـه شـيطانه.

وحـذا حـذو هـام أنجالـه كنعـان وسـيدون، واتخـذ السـحرة عبـادة الشـياطين وانتـشرت ذريـة هـام، وانتـشرت في بقـاع الأرض واسـتوطن عـددٌ منهـم بـلاد فـارس بزعامـة زوروسـتر.

وعلـم زوروسـتر السـحر لأنجالـه: أزونـاس وأب ولـوس وأرومـازوس وانتقـل منهـم إلى بقـاع الأرض حتـى عنـد اكتشـافهم أمريـكا وجـدوا نفـس عـادات وطقـوس السـحر في بلادهـم، وكذلـك في المكسـيك طقـوس وعـادات واحـدة.

ومـن كتـب السـحر التـي تركهـا اليهـود ومـا زالـوا يعٌملـون بهسـفر تولـدس

التـي كانـت تسـتعمله السـيدة العميـاء «ماريـا كريسـتينا» مـن زمـن حتـى حـدث في ذات يـوم وهـي تحضر سـحرًا انقلب السـحر عـلى السـاحرة وقتلت بسـببها ابنتهـا وتركـت معهاحفيدتهـا الوحيدة رانيـا، وعقـدت العـزم بعـد أن ضـاع نظرهـا في تلـك الحادثـة أيضًا، أنهـا لـن تفعـل تلـك الأشـياء المميتـة.. حتـى حـدث وقُتِلَـت رانيـا عـلى يـد ميخاييـل، وحينـما علمـت بأمـر قتـل حفيدتهـا بحثـت عـمَّا مـضى، ولكـن تلـك المـرة لم تسـحر أو تفعـل سـحرًا، ولكنهـا عزمـت عـلى تحضـير جـنٍّ، ولكـن مـا حـدث لم يخطـر عـلى بـال

أحـدٍ؛ ظهـر شـعاع مـن الضـوء الأبيـض يـأتي مـن إحـدى زوايـا الغرفـة العلويـة إلى إحـدى زوايـا الغرفـة السـفلية وضاقـت الغرفـة بهـا إلى حـدود جسـدها ثـم زلزلـت الأرض مـن تحتهـا.. وسـمعت صـوت يناديهـا، صـوت ملـك لهـم: مـاذا تريديـن؟

ردت ماريا:

- أريد الانتقام.

سألها الجن:

- مِن مَن؟

أجابته:

- أخذوا مني أعز ما لدي.. «رانيا»

- مَن هُم؟

- خوسيا وميخاييل.

فسألها: خُدَّام القبيلة الزرقاء؟

- أيوه

- إذًا سنفعل ما نريده.

هنـا علمـت أنهـا لـن تقـدر عـلى التحكـم بهـم، ولـن يكونـوا عـلى طواعيتهـا.. ولكـن الانتقـام أغلـق عقلهـا، وروح الانتقـام جعلتهـا توافـق بـلا أي تـردد.

- وما المطلوب؟

- نور.. سنجعلها لنا.

- لا يهم، المهم الانتقام.

- إحنا القبيلة البيضاء.. وانتقامنا من القبيلة الزرقاء.

ونحن نريدها ونريد.. ياسر

- ومَن ياسر ؟

ردَّ الجن:

- ستعلمين حينها.. ولكن نحن قبيلة لا تستطيع التحرك إلا بالبشر، أصبحت هالتكم قوية وهم يبحثون عنها ونحن أيضًا.. وأنتم من تستطيعون أن تهزموهم.. القبيلة الزرقاء قد سلبوا منا كل شيء حتى طاقتنا الكهرومغناطيسية.. وبقينا عقودًا في انتظار من ينادينا حتى جئتِ أنتِ..

ردَّت ماريا: أنا مش عايزه غير الانتقام.

- إذًا لكِ ما تريدين.. وسيعقد الاتفاق على ذلك.

- اتفقنا.

- اتفقنا.. وإن خالفتِ فأنت الخاسرة.. سنترك معك الموكَّل بخدمتك ومعه خاتم يومض أبيض عند وضعه بإصبعك سوف يحضر على الفور.

- اتفقنا.

حينها بدأ عمدتهم بالدخول ممسكًا بعصا من المنتصف والخادم الموكَّل بخدمتها ممسك بطرف من العصا، وهي تمسك بالطرف الآخر ثم يطلعها على كلمة العهد عندما تسمعها تخرج خاتم الموكل بخدمتها وتضعه بإصبعها يأتيها ويخرجها من القرية قبل فوات الأوان وكانت «اكتمال القمر».. وبعدها قد اختفت نور، وعندما ظهرت نور، وأخبرت رجل البحيرة

بمطلبها، هرع حتى وصل إلى ماريا العمياء، حينها علمت أنه حان الوقت للخروج من القرية، أخرجت العلبة وأخذت الخاتم.. ولبسته بإصبعها فخرج شعاع نور أبيض من زوايا الغرفة.. وخرج من بينها الموكل في خدمتها.. وقالت ماريا:

- لقد حان وقت الانتقام.

صمت الجن.. ليس صمتًا، ولكنه خطاب عقلي في ذهن ماريا.. وكأنه وسوسة..

الجن: سنخرج الآن من تلك القرية.

سألته ماريا:

- هنروح فين؟

أجابها الجن: مصر.



الحلقة السابعة والعشرون

الحكاية (٣)

مصر.. كل من أراد شيئًا ذهب إلى مصر.. مصر أصبحت سرًا عجيبًا.. ميخاييل ذهب إلى مصر.. وأيضًا ماريا أمرها ملك القبيلة البيضاء بالذهاب إلى مصر.. سر عجيب، بلد خصبة للسحر أم هي بلد الأمن والأمان للجن والسحرة والخداعين والشيطانين أيضًا.. ولكن كل ما نعرفه أن بها سيولد ياسر.. ذلك الولد المختار من قبل ولادته، الآن أصبحت أحلامه حقيقية من قبل أن يولد.. الطرفان يبحثان عنه، القبيلة البيضاء ومعها نور وماريا، والقبيلة الزرقاء ومعها خوسيا وميخاييل.

الشيطان تحرك إلى مصر ومكث بها في انتظار رسالة منها تفيد من سيكون مساعدًا له بمصر.. هبط إلى مصر بطريقة أو بأخرى، الأهم أن أصبح في مصر ذراعًا هامًا للقبيلة الزرقاء واختار مكانًا مهمًا جدًّا.. مدينة الجيزة هي الأنسب على حسب رؤيته، وبعد أن مرت الأعوام، ومع اختفاء خوسيا بعد محاولات عديدة بالتواصل معها، ولكن بلا أي جدوى، ومع ثقافتنا المصرية بالاقتناع التام بالسحر والشعوذة وتعويذات

الـزواج والمحبَّـة، وجلـب الحبيـب، إلـخ وبـما أن ميخاييـل قـادم مـن قريـة تقـوم ثقافتهـا عـلى السـحر بأنواعـه، أصبـح ميخاييـل بمسـاعدة المصريـين البسـطاء، وبـلا أي قصـدٍ، وبنواياتهـم الطيبـة صاحـب الكرامـات والـولي الصالـح عـلى مـدار أكثـر مـن خمسـة عـشر عامًـا، حينهـا أصبـح الشـيخ مـرزوق، وسـيطه، زاد وانتـشر أكثـر بـين النـاس، وبـدأت النـاس تحكـي وتتحاكـى عـن معجزاته.. تـارة العاقـر معـه تنجـب، وتـارة يصبـح المجـذوب عاقـلًا.. محترف بطـرق متعـددة.. بـاع وهمًـا واعتقـده النـاس حقيقـة، واسـتمر عـلى هـذه الحـال حتـى وصـل سـيطه لأكابـر القـوم.. وارتفـع أكثـر إلى أن حـدث في ذات يـوم توقفـت سـيارات سـوداء وحراسـه وموكـب عظيـم مسـئول كبـير أم رجـل دولـة لا أحـد يعلـم.. دخلـوا حينهـا عنـوة إلى بيـت مـرزوق.. ومـرزوق بالداخـل قـد اقتنـع بأنـه اتكشـف بعـد كل تلـك الأعـوام.. ولكـن القـدر قـد يتغـير ويصبـح الشـيخ مـرزوق في مواجهـة سياسي بـارز لـه سـطوة وهيبـة كبـيرة تتحـدث عنـه جميـع الأوسـاط السياسـية برعـب يهابـه كبيرهـم قبـل صغيرهـم رجـل مـن رجـال الدولـة في وقتـه.. كان يمـر بأزمـة نفسـية ذهـب بسـببها إلى أكـبر الأطبـاء النفسـيين، ولكن بـلا أي تقـدم.. نصحـه أحـد المقربـين بالذهـاب لعـراف أو صاحب كرامـات وكان صاحـب السـيط واسـع الانتشـار في حينـه هـو «ميخاييـل» أو الـذي أصبـح الشـيخ مـرزوق.. دخـل بحراسـه حتى بـاب غرفتـه.. أوقـف الحـراس عندهـا ودخـل في هـدوءٍ ونظـرات مـرزوق تشـع رعبًـا وحـيرة وتوتـرًا.. الآن لا مخـرج.. لقـد انكشـف أمـره أكيـد.. وقـف احترامًـا.. هيبـةُ الرجـلِ قويـةٌ، لـه طلـة ترعـب كل مـن يقـف في حضرتـه.

نظراتٌ ثاقبة.. ثابتة، وجهه لا يخرج منه أي تعبير لا رضا أو غضب حتى نظر له الرجل بنظرات طمأنينة، وقال السياسي: ما اتقلقش يا شيخ.. أنا عايزك في موضوع شخصي. تنفس الصعداء وأخذ نفسًا عميقًا وأفرغه بطمأنينة، ثم قال مرزوق:

- اتفضل يا افندم.. تحتُ أمرك.

- عندي مشكلة يا شيخنا.. وما سِبتش دكتور إلا أما رحت له.. ولكن ما فيش فايدة.

- إيه المشكلة؟

- أحلامي.. تشبه الكوابيس.. ولما أصيي بلاقي بعض الكدمات في جسمي ومش فاهم لها سبب.. وغير إن كل ما أدخل معركة سياسيه بتلجّم ومش بعرف أنطق ودا عكس شخصيتي تمامًا.. نصحوني بعض الأصدقاء إني أروح لشيخ معالج روحاني وقالوا لي إنك أفضلهم.

بدأ الشيطان الآن يحكم ويسيطر، تلك هي الفرصة وقد جاءت له على طبق من ذهب.

نظر له مرزوق بابتسامة ترحيب وخبث خفي.. وأومأ برأسه ثم قال:

- فهمت انت طالب إيه!.. وأنا هخلص لحضرتك مشكلتك.. ومش بس كدا.. هعملك حجاب يفضل في جيبك ما حدِّش على وجه الأرض يقدر يغلبك لكن محتاج منك طلب.

نظر له السياسي بدهشة:

- إنت مش مصري يا شيخ، لغتك مش مصرية..

توقفت نبضاته واحمرَّ وجهه.. وجفت عصارة فمه..

وقبل أن ينطق بحرف واحد، قال السياسي:

- أكيد من المغرب ولا عشت هناك على العموم..

لو حصل اللي بتقوله.. اعتبر طلبك نافذ.

-أنا بدوَّر على واحد اسمه «مصطفى عدلان» نظرات اندهاش السياسي جعلت مرزوق يتوتر ونظراته بدا عليها الرعب قليلًا ولكن دون أن يظهره. رد السياسي على مرزوق ردًّا أبدل توتره بابتسامة خبيثة خفية:

- دا صديقي.. بس انت عاوزه ليه؟ يعني في حاجة؟

- لا أبدًا، عنده مشكلة دايمًا بيجي لي في منامي باسمه أنا ما أعرفش شكله لكن عنده مشكلة وحلها عندي.

- مشكلة إيه؟ خلي بالك مش بيحب الكلام دا، لما عرف إني جاي زعل جدًّا وقال لي دي خرافات.

- ما أقدرش أقول، دي أسرار العملا يا افندم. ممكن تعرَّفني عليه كأني أي شخص، هو أكيد ما يعرفنيش وأنا هعالجه من بعيد بس أشوفه الأول عن قرب.

نظر له السياسي بابتسامة ترحيب، وأخرج هاتفه للاتصال بمصطفى.

- آلو مصطفى حبيبي.. إزيك.. لأ أنا تمام الحمد لله.. بقول لك إيه انت فاضي بكرة؟.. الساعة ٨ بالليل..

إممـم.. طيـب خـلاص نتقابـل عنـدك في البيـت.. بكرة السـاعة ٨.. مـاشي حبيبـي.. مع السـلامة.

أغلـق الهاتـف بينـما كان مـرزوق يصنـع حجابـه الموعـود وأذنـه مـع السـياسي.. حتـى اطمـأن أنـه سـوف يقابـل مصطفـى عـدلان ،حينهـا تحـدث السـياسي معـه قائـلًا:

- إيـه يـا شـيخنا تمـام كـدا.. بـس أمـوت وأعـرف انـت عايـزه في إيـه؟

- أكيد هتعرف بكرة.

مـد مـرزوق يـده بالحجـاب الموعـود ونظراتـه كلهـا خبـث وانتصـار.. لقـد حانـت اللحظـة التـي انتظرهـا أعوامًـا وهـو يبحـث عنـه.. وخوسـيا قـد اختفـت مـن فـترة ليسـت بقريبـة، حتـى القبيلـة الزرقـاء انقطعـوا عـن الاتصـال معـه بـلا أي سـبب.. لا يعلـم مـا هـو السـبب.. ولا يعلـم أن القبيلـة البيضـاء قـد خرجـت إلى النـور مـرة أخـرى واتفقـت مـع ماريـا عـلى مـا اتفقـا عليـه، ولا يعلـم أن الانتقـام مـن القبيلـة الزرقـاء قـد احتـدم هنـاك مـن الجهـة الأخـرى مـن العـالم، حينهـا عندمـا التقـط الجـن المـوكل لخدمـة ماريـا وأخرجهـا مـن المكسـيك للوصـول بهـا إلى مـصر، كان ملـك الجـن الأبيـض قـد اتخـذ مـن جسـم نـور مسـكنًا لـه.. يخـرج مـن خلـف ظـلام انتقامهـا لينتقـم، اندمـاج أغـرب مـن حتـى خيـال مؤلـف، أصبحـت مسـكونة نـور بجـن يتحكـم بهـا، وكان البحـث عـن خوسـيا قـد اشـتدت، وكانـت اول مـا تـم البحـث فيهـا هـي جزيـرة تشكسـولوب.. دخلـت نورالظـلام خفيـة.. هـي الان ليسـت بشريـه.. أصبحـت جنـا مـن البـشر خفيـة تظهـر

حينما يشاء الملك وتختفي حينما يريد هو.. أشياء من عجائب الزمن والوقت.. ولكن ما كان يميز الجن الأبيض أو القبيلة البيضاء، هو السرعة في التحرك والتحكم بالوقت، وعندما حدث اندماج الهالات أصبحوا يخرجون من قلب الظلام بخيط رفيع مضيء يشع أبيض، ذهبت نور إلي تشكسولوب.. قرية صغيرة بها بيتان صغيران.. واحد منهما كان لباحث في علوم ما وراء الطبيعة، والآخر منزل مهجور تمامًا يبدو أنه لم يسكنه أحدٌ من قبل.. دخلت نور المنزل الأول وجدت جثة لشابة قد ضاعت ملامحها، يبدو أنها مقتولة من فترة ليست بقصيرة، وعندما رأت صدرها بلا قلب علمت أنه من فِعْل القبيلة الزرقاء، استمرت في البحث بالمنزل فوجدت مستندات من بينها بطاقة هوية لشابة.

اسمها مارجريت.



الحلقة الثامنة والعشرون

الحكاية (٤)

الوهم أصبح حقيقة ولكنها حقيقة معكوسة.. تشابكت الحقائق مع الوهم.. أصبح الوهُم حقيقة الآن، تلك هي سمات القبيلة الزرقاء يدخلونك في عالمهم، فلا تعرف ماضيك من حاضرك، وحينها يصبح مستقبلك معدومًا والأمل مسلوبًا. نور الآن بمنزل الأبحاث بساحل تشكسولوب.. تبحث عن خوسيا انتقامًا لما حدث من قبل.. حينها وجدت الشابة مارجريت منزوعة القلب.. خرجت متجهة إلى المنزل الثاني والأخير.. منزل مهجور خشبي متآكلة زواياه الخشبية، ونسيج العنكبوت مغزول على جميع أرجائه، رائحة عفن نفّاذة تفوح منه كرائحة الموتى بالمقابر، منزل دميم، ثقوب منتشرة على جميع جدرانه، تقدمت نور ببطء بخطوات حسيسة.. تتقدم ناحية الباب وهي تسترق النظر من بين الثقوب.. سمعت صوت همهمات غير مفهومة.. وأصوات صريخ مكتوم.. تقدمت أكثر حتى أمسكت بمقبض باب المنزل وهمَّت أن تفتحه.. فسمعت صوتًا عظيمًا.. يضحك بسخرية شديدة قائلًا:

- ادخل، كنت في انتظاركم منذ زمن.

ملامح نور قد تبدلت وظلام بدا يظهر من تحت قدميها ونجوم بيضاء تسبح بين الظلام كأمواج بحر في فصل صيف هادئ، دخلت نور كبساط ريح طائر.. نظرت فوجدت سيدة بملابس قديمة ورائحة العفن تخرج منها وشعر أزرق كثيف ملفوف يتراقص كبراعم ثعابين واقفة وهي تضحك بصوتٍ غليظٍ عظيم.. باستهزاء وسخرية شديدة ونورناظرة لها بترقب.. حينها التفت السيدة فجأة.. كانت خوسيا بملامح شيطانية مريعة.. قرون تخرج من جبهتها.. وعظام وجنتيها بارزة وحدقتا عينيها اتسعت حتى اكتسى بياض عينيها بلون أسود مظلم داكن، مخاط أزرق يسيل بغزارة من فمها يسقط على الأرض يترك ثقبًا بمكانه كمادة كاوية حارقة، وصوت رعب يخرج من أنفاسها كزئير أسد منتصر.. تبدلت خوسيا تمامًا أصبحت وحشًا حقيقيًّا.. ونور واقفة كما هي تنظر لتلك الملامح بثبات.. مترقبةً أي حركةً منها.. ابتسمت خوسيا حينها ابتسامة شيطانية حتى ظهرت أنياب وبينها أسنان يختلط سوادها مع صفارها متسخة اتساخ قرون.. وقالت بصوت شيطاني عظيم:

- كنت في انتظاركم.. ما أحلى أن تكون الحرب بأجسام غير أجسامنا.. انتظرتكم منذ زمن بعيد.. ولم أيأس أبدًا .

حينها تجمعت نجوم الظلام حتى أصبحت خيوطًا من شعاع نور غليظ وارتفعت من خلف نور حتى تشكلت

بملامح وجه غير معروف.. ونور واقفة بلا أي حركة وكأنها أصبحت تمثالًا بمتحف تاريخي قديم.. وقال الضوء:

- وما أحلى أن تكون النهاية على أيدينا.. يا

«دنهس».. كما وعدتك.. من يضحك كثيرًا.. يبكي بالنهاية..

خوسيا بضحكات استهزاء شيطانية: أنتم الأضعف..

ياسر سيصبح ملكنا.. أو سيموت أبوه قبل مولده.

-إمممم.. هذا القدر مكتوب من قبل ما تخلق أنت.. لا يجرؤ أحد على تبديله.. دائمًا أوهامكم تصنع منكم آلهة.. تعشقون الوهم.. ولكن خُلِقَ الإنسان بعقل يفكر ويتدبر وهذا من ترتيب القدر.. القدر محتوم الآن يا «دنهس» وإن لم تعلم ماهو القدر اسأل شيطانكم الأعظم «إبليس».. ياسر أصبح آخر المختارين، ثم صمت وهلة.. وأكمل:

- كم مرة فزت وانتصرت على بشري؟.. لا تحسب صمت الحق ضعفًا.. فإنما هو انتظار إلى حين.. وقد جاء حينه.. أن تعلموا أنكم منتهون لا محالة.

خوسيا: هههههههه.. ميخاييل هناك.. وحتمًا سيجده.

الصوت: وماريا هناك.. ستظل له بالمرصاد.. لن يجرؤ أحد على ياسر.. وإن جرؤ أحد.. سنكون نحن موجودين.. لأنه سيولد.. إنه القدر.

استشاط غضبًا، وزمجر بغضب ورعب شديد.

فقالت خوسيا:



- لن تنتصر علينا تلك المرة.. أصبحت «خوسيا وميخاييل» معنا وكل ما انتزع قلبه سيصبح وهمنا للبشر.. سنأتيهم من كل جانب وفي كل حين.. وفي كل لحظه صمت.. سيصبحون بلا أي إنسانية.. ولا ملامح بشرية.. سينشر الظلام في وجدانهم.. سنسلب آمالهم وطموحاتهم ونتركهم فارغين.. وإن انتهى هؤلاء سنبحث عن غيرهم.. نحن القبيلة الزرقاء.. . أفضل من أي بشري أو مخلوق في ذلك الكون العقيم.. إلهنا العظيم «إبليس».. سوف ينتصر بالنهاية.. وتلك هي فرصتهم الأخيرة.. . لن نرحم أحدًا..

والوجه ما زال واضحًا بأعلى خلف نور.. وقد بدأ يتفكك، ولكن قال الصوت حينها:

- إذًا الآن أنت كتبت النهاية.

ثم تفكك وأصبح خيوط ضوء غليظة تغزل نفسها حتى أصبحت سيفًا عظيمًا، وبضربة واحدة قطع رأس خوسيا بسرعة عالية حتى سقطت رأسها على الأرض متدحرجة، إلى أن وصلت تحت قدميّ نور.. وفمها مفتوح وقد رجعت ملامح وجهها كما كانت بصورتها الأولى.. يخرج من جسدها دخان أزرق يتحسس طريق الخروج ببطء.. وفجأة.. سُمِعَ صوت يقول:

«دنهس»: لن تكون هكذا النهاية.. تلك المرة.. لن أستسلم أبدا.. لقاؤنا القادمُ.. بمصر .

تجمعت مرة أخرى خيوط الضوء حتى أصبحت وجهًا وقال الصوت:

- المـرة القادمـة سـتصبح في عقـر داركـم.. ولـن يسـتطيع أحـدٌ منكـم أن يوقفنـا.. الآن نحـن مـن نملـك اللعبـة وأنتـم عليكـم الانتظـار.

خـرج الدخـان في صمـت ورأس خوسـيا مـا زالـت بـين قدمـي نـور بملامحهـا البشريـة قـد انتهـت واختفـت.. قتلهـا الـذي لا يدعـى ميخاييـل أو الـذي أصبـح مرزوقًـا بمـصر.. أصبـح مـرزوق الآن هـو الـذراع الوحيـد للقبيلـة مـن معاونيهـم البـشر، ولا يعلـم أن القبيلـة البيضـاء أرسـلت ماريـا السـاحرة التائبـة خلفـه، حتـى هـي لا تعلـم أنهـا هنـاك لذلـك، ولكنهـا علمـت أنهـا سـتصبح مختلفـة، لهـا قـدرة عـلى التحـول فتصبـح أي شـخص تريـده، علمـت بعـد أن أصبحـت في مـصر بمدينـة الإسـكندرية.. ومـرزوق لم يعلـم عنهـا شـيئًا، لم يعلـم أن القبيلـة البيضـاء بانتظـاره ومترقبـة أفعالـه.. وفي أي لحظـة قـد تصبـح نهايتـه، وعـالم مـرزوق الآن أصبـح مبهـرًا.. عـالم الشـهرة أوهمـه أنـه في مأمـن مـن أي شيء.. وقدرتـه عـلى السـحر جعلتـه معتقـدًا أن لا نهايـة لـه.. وحينـما وعـده السـياسي بأنـه سـيلتقي بمصطفـى عـدلان.. واتفـق معـه أن يتقابـلا في بيتـه السـاعة الثامنـة مسـاءا، أرسـل السـياسي سـيارة خاصـة تنقـل مرزوقًـا إلى مـكان المقابلـة، ولا يعلـم مـرزوق إلى أي مـكان سـيكون، استـمرت السـيارة أكثـر مـن ثـلاث سـاعات تسـير بطريـق مظلـم كصحـراءٍ.. حتـى وصـل إلى بـاب فيـلا.. مكتـوب عليهـا «فيـلا مصطفـى عـدلان».. وأنـوار وزخـارف وأصـوات موسـيقى تتعـالى مـن داخـل الفيـلا.. نظـر مـرزوق للسـائق وقـال:

- هـي اسـمها إيـه المنطقـة دي، إحنـا بقـى لنـا كتـير أوي ماشـيين.

- منطقة إيه يا شيخ.. إحنا في الإسكندرية.

- إسكندرية! ليه؟

ردَّ السائق:

- ما أعرفش الباشا أمرني بكدا .

ابتسم مرزوق وتأكد أنه قد اقترب من مصطفى أخيرًا.. لم يعلم أن هذا الاحتفال بمناسبة مولد الطفل ياسر.

❋ ❋ ❋

الحلقة التاسعة والعشرون

الحكاية (٥)

ليس شرطًا أن يكون الشيطان من قبائل الجن.. غالبًا يكون الإنسان شيطانًا وبالنهاية يصبح مرزوقًا.

توقفت السيارة أمام فيلا مصطفى عدلان وداخلها مرزوق الذي أحكم سيطرته على العقول حتى على أكبر السياسين.. الآن أصبح مرزوق أقرب مما يتصور، أمام فيلا مصطفى عدلان، ولكنها فيلا بالإسكندرية.. لا يهم، المهم أن الشيطان أصبح أقرب.. ومصطفى عدلان الآن فريسةَ سهلة بالنسبة لمرزوق، لا يعلم مرزوق ماذا يخطط له القدر.

دائمًا تقام حفلات عائلة عدلان بتلك الفيلا بالإسكندرية.. عادة تتفاءل بها تلك العائلة المعروفة منذ زمن.. عائلة لها سيط وسلطة.. ثرية.. أرستقراطية.. عدلان الجد الأكبر كان شيخًا فاضلًا ذا سمعة طيبة حافظ للقرآن الكريم يرتله بصوت عذب كهواية له.. وقبل أن يتوفى عدلان جمع أبناءه وقال لهم:

- أنا سايب لكم ورث تقيل حافظوا عليه.. العلم، والسمعة الطيبة.. إياكم تتفرقوا.. كونوا واحد.

وبعد أن وافته المنية ترك من ذريته رجالَ علمٍ ذوي سمعة طيبة، تعلموا التجارةَ على يد رجل سوري اسمه «اثيل» واستمروا معه أعوامًا وأعوامًا.. وذات يوم أرسل إلى والد مصطفى عدلان برسالة مفادها:

«إلى حفيد العظيم عدلان.. أبعث إليك تلك الرسالة وأنا في شدة الحزن والأسى.. كنت في رحلة إلى المكسيك وقابلت هناك عرافة مكسيكية.. وبعد أن تبادلنا الأحاديث وعلمت بمعرفتي لعائلتكم.. أوصتني أن أبلغكم أن من ذريتك سيولد طفلٌ مختارٌ.. وعائلتكم ستصبح بلا ذريةٌ.. لعنة من قبيلة جن اسمها «القبيلة الزرقاء».. وعند تأكدي من تلك المعلومة بعثت لك تلك الرسالة للتحذير:

«إياكم والوهم.. حفظكم الله من كل سوء.»

لم يعِ والد مصطفى تلك الكلمات إلا بعد أن توفى كل أولاده فجأة، حتى حملت زوجته وأنجب طفلًا وأسماه مصطفى، ثم توفى بعد أن أتم مصطفى عامه الثالث عشر.. ومن حينها أصبح مصطفى عدلان.. آخر نسل عدلان..

بعد أن توفى كل أقاربه وأعمامه بلا إنجاب ولد واحد..

حينها أصبح الوريث الوحيد للعائلة بعد أن احترفوا التجارة وأصبحت واسعة الانتشار بجميع البلاد العربية من مشرقها إلى مغربها ولكن مصطفى صنع منها أسطورة عائلية تحكي عنها في جميع الأوساط.. رجل ذكي..



وفي غضـون سـنوات قليلـة جعـل مـن تلـك التجـارة مؤسسـة عالميـة مـن أكـبر المؤسسـات التجاريـة بالعـالم.. واسـتقر عـلى أن يصبـح مركزهـا الرئيـسي بألمانيـا.. وتـزوج مـن فتـاة ألمانيـة ذات أصـول مصريـة.. وأنجبـت منـه ياسر وكانـت تلـك الحفلـة احتفالًا بقـدوم الوريـث الوحيـد والأوحـد للعائلـة.. حفـل أسـطوري.. دعـا فيـه سياسـين ورجـال أعـمال.. ومـن عشـق مصطفـى عـدلان الرجـل المنحـدر مـن سـلالة الشـيخ عـدلان بالتأكيـد لا ينسـى أبـدًا نصيـب الفقـراء مـن تلـك الوليمـة العظيمـة.. جعـل لهـم مكانًـا بآخـر الحديقـة، وحينـما توقفـت السـيارة التـي أرسـلت مـرزوق إلى الفيـلا واسـتقبله مضيـف الحفـل وأرشـده إلى المـكان المخصـص للفقـراء نظـر مـرزوق إلى المضيـف بغضـب وقـال:

- إيـه دا يـا ابنـي.. أنـا مدعـو مـن مصطفـى باشـا بنفسـه.. إنـت مـا تعرفنيـش ولا إيه؟

نظـر لـه باسـتغراب وبنظـرات تتفحصـه مـن أسـفل إلى أعـلى، ثـم قـال:

- لا يا فندم.. لكن هبلغه.. أقول له مين حضرتك

مرزوق: بغضب وصوت عالٍ وكبرياء:

- مـين إيـه يـا ابنـي أنـا الشـيخ مـرزوق مـين مـا يعرفـش الشـيخ مـرزوق.. روح يـا ابنـي قُـل لـه الشـيخ مـرزوق وصل.

أومـأ برأسـه وهـو ينـصرف عنـه باحثًـا عـن مصطفـى عـدلان وسـط الحفـل والمدعويـن.. ومـرزرق واقـفٌ بمكانـه وملامـح

الغضـب تتملكـه بشـدة، حتى جـاءه المضيـف وأخـبره أن «مصطفى عـدلان» لا يعلمـه.. نظـر لـه مـرزوق بغضـب ثـم قـال:

– روح قولـه أنـا مـن طـرف السـياسي الـلي... وقبـل أن يكمـل سـمع صـوت سـيارات تتوقـف وحينهـا تركـه المضيـف مسرعًـا، وتوجـه ناحيـة البوابـة لاسـتقبال ذلـك الضيـف الـذي تبـدو عليـه الأهميـة، نـزل مـن سـيارته حتـى رآه مـرزوق، هـو السـياسي الـذي كان يعالجـه منـذ أيـام.

مـرزرق بصـوت ينـادي: يـا باشـا يـا معاليـك.. أنـا مـرزوق بتـاع الجيـزة .

نظـر لـه السـياسي وهـو واقـف وسـط طاقـم حراسـتهِ.. نظـر بابتسـامة وأشـار لـه أن يتقـدم.. أسرع مـرزوق نحـوه مبتسـمًا، وقـال بنظـرات التملـق:

– معاليك عامل إيه دلوقتي؟

وفيت بوعدي معاك؟

– إنـت جبـار يـا شـيخنا.. إنـت مـن النهـارده صديـق العيلـة خـلاص.

أشار للحراسة أن يدخلوه في منطقته الآمنة، وقال السياسي:

– أعرَّفك بقى على العيلة..

وأشار نحو سيدة تحمل طفلة رضيعة:

– أمينـه مـراتي.. وبنتـي رقيـة.. ثـم نظـر إلى زوجتـه مبتسـمًا.. وأشـار إلى مـرزوق:

- دا بقى الشيخ مرزوق اللي حكيت لك عليه.. أعماله نفاذة جبارة.. وضحك ضحكات عالية.. وأكمل: الراجل دا ماينفعش يبعد عنا.

ارتياح مرزوق كان مؤقتًا حتى أصبح أمام «مصطفى عدلان» بصحبة زوجته وابنه ياسر، علم حينها أن ياسر قد ولد والفرص تقلصت، لا سبيلَ إلا أن يصبح ياسر واحدًا منهم.. وقف مصطفى أمام مرزوق والسياسي.. والزوجتان تتعانقان بجانبهما بود وحب، يبدو أنهم أصدقاء منذ زمن بعيد.. ملامح الحسرة على وجه مرزوق، وعقله الشيطاني ألهمه فكرة.. ولكنها ستكون الأصعب.. وقف السياسي ومصطفى يتبادلان الترحيب والسلامات.. ومرزوق يتمتم بتعويذات سرية.. وفجأة.. سقط مصطفى مغشيًا عليه بلا أي سبب واضح.. حاولوا إفاقته، ولكن بلا أي جدوى، توقفت الحفل والمدعوين هرعوا ناحية مصطفى، حينها نظر مرزرق إلى السياسي.. وقال:

- مش قُلت لمعاليك إن في حاجة.

- طب اعمل حاجة ياشيخ.

-طيب أنا محتاج غرفة أنا وهو لوحدنا لو سمحت.

- حالًا.

أشار إلى المضيفين بحمل مصطفى إلى غرفة نومه بداخل الفيلا وخلفه مرزوق وزوجة مصطفى والسياسي مسرعين، والحفلة توقفت والترقب أصبح الفقرة الفنية المتاحة الآن،

وأضـواء كامـيرات التصويـر انطفـأت وهمهـمات النـاس لم تنقطـع، منهـم مـن خـرج مـن الحفـل، والبعـض ظـل منتظـرًا.. رجـل محبـوب في كل الأوسـاط السياسـية والتجاريـة أيضًـا، وكان مـن أهـم المنتظريـن المدعويـن الفقـراء في آخـر الحديقـة.. هرعـوا جميعًـا إلى بـاب الفيـلا الداخـلي.

وكان آخرهم بالخلف امرأة عمياء.

***

الحلقة الثلاثون

الحكاية (٦)

انفض الحفل من مدعوينه إلا قليلين منهم، واقفين في توتر وكان من بينهم سيدة عمياء ومعها شابة في العشرينيات من عمرها تساعدها في سيرها، حينها كان السياسي وزوجته «داليا» وزوجة مصطفى «ماجي» مسرعين خلف «مصطفى عدلان» الذي يحمله حراس السياسي إلى غرفته بالدور العلوي من الفيلا. بعد سقوطه مغشيًا عليه.. دخلوا الغرفة ووضعوه برفق على سريره ومرزوق واقفٌ بجانب السرير ثم أشار إليهم جميعًا بالخروج وأغلق الباب وأحكم إغلاقه.. تلك هي فرصته العظيمة.. يصبح مصطفى عدلان تحت يديه بالغرفة وابنه ما زال رضيعًا.. خارجها.. بعد أن أغلق مرزوق الباب.. تركتهم ماجي مسرعة وهي حاملة ياسر الرضيع وتوجهت إلى آخر الرواق نحو باب غرفة بمقبض نحاسي.. أمسكت المقبض وما إن همت بفتحه حتى سمعت مناديًا على الجانب الأيمن منها.. نظرت، وجدت أختها شجن.. سألتها بلهفة:

- في إيه يا ماجي.. ماله مصطفى؟

- مـا أعرفش،مـرة واحـدة وقـع عـلى الأرض ومـا اتحركـش تــاني.

- طيـب هــاتي يــاسر أنــا هدخلــه وروحــي انــتِ أنــا هفضــل معــاه..

التقطتـه شـجن منهـا ودخلـت الغرفـة وأغلقـت خلفهـا بهـدوء وماجـي أسرعـت مـرة أخـرى إلى غرفـة مصطفـى، إلى أن توقفـت بجانـب داليـا.. وداليـا حاملـة ابنتهـا متكئـة بظهرهـا عـلى حائـط خلفهـا وزكريـا يشـعل سـيجاره ويـده عـلى الحائـط متكئًـا ناظـرًا إلى الغرفـة تـارةً وإلى الأرض تـارة أخـرى وهـو يفـرغ دخـان سـيجارته سألت داليا:

- هو في إيه يا زكريا؟

- ما أعرفش إيه اللي حصل.

- مين الشيخ مرزوق دا؟

- ما أنا قُلت لك عليه، بتاع الحجاب..

- أيـوه فاكـراه بـس مسـتغرباه، نظراتـه مـش مطمئنـة يـا زكريا.. مـا تدخــل معاه.

نظـر لهـا في صمـت، وفجـأة تعالـت همهـات مـرزوق بتعويذات غـير مفهومـة.. ضمـت داليـا ابنتهـا بخـوف بأحضانهـا.. وصـوت يـاسر مـن داخـل الغرفـة يبكـي بـكاء مريبًـا.. توجهـت

«ماجـي» إلى رضيعهـا، وعنـد وصولهـا إلى بـاب الغرفـة انطفـأت الأنــوار فجــأة والظــلام أصبــح دامسًــا مرعبًــا.. ارتعبــت داليــا وقالــت:

- إيه دا في إيه؟.. ماتروح تشوف في إيه يا زكريا.

أسرع زكريا ناحية السلم ونادى على حراسه ولكن لا يجيبه أحد..

- يا شباب.. فين النور؟.. يا عبدالله.. انتوا يا بهايم..

بدأ يخطو أولى خطواته.. وفجأه شعر بأنفاس تسير خلفه التف في رعب لم يجد أحدًا، ارتعب زكريا.. وبدأ العرق يسيل من جبهته وما زال ينادي على حُرَّاسه ولكن لا مجيب.. استمر بالنزول ببطء يتحسس طريقه.. حتى دُفع فجأة من على درج السلم متدحرجًا حتى استقر بالأسفل فاقدًا الوعي تمامًا.. صوت ياسر أصبح أعلى، وماجي محاوِلة فتح الباب من الخارج ولكنه موصودُ.. نادت على شجن أختها بالداخل ولكن لا مجيب.. جذبت المقبض بعنف ولكن دون أي جدوى.. .صوتها بدأ يتعالى أكثر، ونادت على داليا بصوت مرعوب متوتر ولكن لا مجيب.. ظلام دامس غريب.. فجأة.. سُمع صوت أنفاس متعالية تتقدم ناحية غرفة ياسر وماجي ما زالت تحاول الدخول، حتى شعرت بأنفاس خلفها، استدارت فجأة لم تجد إلا سيدة عمياء واقفة خلفها في صمت.. ارتعبت وصرخت رعبًا.. ثم أخرجت السيدة من جيبها خاتمًا ولبسته بإصبعها فظهر شعاع ضوء وسط الظلام يخترق باب الغرفة.. وهناك صوت مرزوق بعصبية وعنف يتعالى بتعويذات غير مفهومة.. وفجأة.. صمت كل شيء.. والدخان الأزرق يسير بهدوء متسحبًا على الأرض متجهًا ناحية غرفة ياسر، وماجي أمام الباب، وتلك السيدة بلا أي حراك خلفها تسرب الدخان

حتـى آخـره، وصـوت يـاسر بالداخـل يـصرخ صراخًـا مرعبًـا.. زكريـا مـا زال مغشـيًا عليـه، وداليـا اختفـت تمامًـا. هرولـت ماجـي بالـرواق تبحـث عـن مسـاعد لهـا مناديـة عـلى أي أحـد لكـن لا مجيـب.. صمـت رهيـب.. ألهمهـا عقلهـا أن تفتـح بـاب غرفـة مصطفـى، أمسـكت المقبـض وهمـت أن تفتحـه وسـط ظـلام دامـس سـمعت صـوت الأبـواب توصـد، ومـرزوق بتعويذاتـه يتعـالى مـرة أخـرى.. الآن أصبحـت وحيـدةً وسـط رعـب قاتـل.. الشـيطان أحكـم قبضتـه، أم هـذا القـدر المحتـوم؟.. تلـك هـي النهايـة.

أم هـي بدايـة اللعنـة.. رجعـت مـرة أخـرى إلى غرفـة ياسر محاوِلةَ فتـح البـاب ولكـن بـلا أي جـدوى.. وفجـأة صمـت كل شيء، وصـوت أنـاس يتعـالى كأنهـم يتهـاوون مـن مـكان شـاهق.. اختفـت ملامـح الـرواق وأصبحـت زوجـة مصطفـى وحيـدة في مـكان مظلـم ورائحـة عفـن تتقـدم نحوهـا بسرعـة، حاولـت الـصراخ ولكـن لا صـوت يخـرج.. حاولـت التحـرك والهـرب ولكنهـا كتمثـال لا حركـة.. الآن أصبـح العجـز في أصعـب أوقـات الاحتيـاج.. قلـب يُعتـصَر رعبًـا وألمًـا.. رضيعهـا في غرفـة مغلقـة مـع المجهـول.. وزوجهـا بـين يـدي شـيطان إنـس مجنـون بالـشر.. صمـت انتظـار القـدر.. لا تسـتطيع التحـرك، ولا حتـى الـصراخ.. وحيـدة الآن، ووسـط ذلـك الألم خـرج لهـا وجـه شـيطاني أزرق مـن بـين الظـلام.. يتسـاقط مـن بـين أنيابـه مخـاط أزرق.. وقـال بصـوت شـيطاني عظيـم:

- جئنا لأجل مولودك.. ولكنهم كانوا الأسرع.



ونحـن لا نهـوى الخـروج بـلا أي غنائـم.. أنـت الآن أصبحـتِ لنـا ولـن نفلتـك.. ابنـك سـيصبح لنـا ووالـده مـن قبلـه.. ثـم ظهـرت أظافـر بـلا أصابـع وضرب صدرهـا حتـى خـرج قلبهـا بين أظافـره ينبـض، ثـم أخـذ يدخـل ببـطء بـين الظـلام حتـى اختفـى تمامًـا، والدخـان الأزرق خـارج مـن حجـرة يـاسر في هـدوء وبـطء، والسـيدة العميـاء أمـام البـاب مـا زالـت واقفـة بـلا أي حركـة.. بـدأت الأنـوار تومـض ومضـات متقطعـة.. حتـى اسـتقرت.. وزكريـا عـلى الأرض مغشـيًا عليـه.. بـدا يسـتفيق وزوجتـه مغـشي عليهـا وبجانبهـا ابنتهـا رقيـة عـلى الأرض.. صـوت الأبـواب تفتـح ومعهـم بـاب يـاسر يُفتَـح في هـدوء وبـطء شـديد حتى خرجـت شـجن أخـت ماجـي حاملـة يـاسر وجـدت مصطفـى عـدلان أمـام جثـة زوجتـه.. ومـرزوق يقـول:

- ليه كدا يا باشا.. ليه كدا؟



الحلقة الواحد والثلاثون

الحكاية (٧)

تحدقت عين شجن بذهول كبير، حينما خرجت من الغرفة وجدت مصطفى عدلان ومرزوق أمام زوجته ماجي جثة هامدة وبِركة من الدماء تسيل من تحت أقدامهم، ومرزوق بصوته الخبيث:

- ليه كدا يا مصطفى باشا؟

وبالأسفل بعض من الحضور بالحفل المنتظرين عند باب الفيلا الداخلي يسمعون صرخة مدوية تأتي من الطابق العلوي، هرعوا بالدخول والفتاة المصاحبة لماريا وقفت في ذهولٍ عندما نظرت بجانبها ولم تجدها بعد أن انقطع النور للحظات معدودة، أسرعت معهم بالدخول إلى مصدر تلك الصرخة وجدت السياسي زكريا ملقيًا على الأرض وبعض من المدعوين محاولين مساعدته بالنهوض، وبعضهم في هلع متجهين إلى الطابق العلوي مصدر الصوت، وكانت هي أولهم. صعدت بسرعة ولهفة حتى توقفت فجأة ووضعت يدها على عينيها من المشهد المرعب القاسي. حينما رأت مصطفى عدلان

واقفًا في صمت أمام جثة زوجته وشجن تحمل ياسر بصراخ مجنون لا يتوقف، ومرزوق يمسك بيد مصطفى عدلان ويديه ملطختان بالدماء وبجانبهم السيدة العمياء «ماريا».. ذهول جعل الشابة في صدمة لا تستطيع معها التفكير.. كيف تركتها وذهبت كل هذا الطريق بمفردها، وقفت بشرود ذهن وصدمة كبيره وعقل رافض الوعي بكل ما فيه، سيدة عمياء بالكاد تخطو خطوتين لتصبح في قلب المأساة.

أسئلة تراود عقلها بلا أي إجابة.. ولا يعلم إجابتها أحد غير ماريا وهي تقف بلا أي حراك وخلفها الحاضرون ينظرون إلى الحدث الأكبر؛ وهو موت ماجي. ألهيت أعين وعقول الجميع عن داليا الملقاة على الأرض وبجانبها ابنتها الرضيعة، أحيانًا يصنع العقل حواجز عن التفاصيل عندما يستنزفه التركيز على حدث عظيم. تلك التفاصيل لا تعنينا إلا إذا كانت تهمنا، داليا حينها كانت وما زالت على الأرض وابنتها الصغيرة بجانبها لا صريخ ولا عويل، نظرت الشابة خلفها بعد سماع صوت أقدام آتية، وجدت زكريا السياسي متعكزًا على أحد المدعوين بالحفل. مسرعين ناحية داليا. انحنى زكريا بجانب داليا والتقط ابنته رقية بعطفٍ، وبلا شعور أعطاها لتلك الشابة المساعدة «ماريا» لأنها كانت هي الأقرب وشرودها وعظم الموقف جعلاها تلتقط الطفلة بلا تردد، ولكن حيرتها وعدم قدرتها على استيعاب الموقف الجلل جعل عقلها يفكر في شيء واحد فقط: كيف وصلت ماريا إلى هذا المكان فجأة وهي كانت بجانبها منذ لحظات.. لم يلاحظ حتى الآن المأساة الواقعة على بعد خطوات منه، حاول إفاقة داليا

وحين استدركت وعيها، بدأ زكريا يتنبه إلى صوت همهمات مسموع نظر إلى مصدرها.. ذهب مسرعًا وخلفه زوجته داليا محاولة الالتحاق به فوجدا جثة ماجي وشجن ما زال صرخها وبكاؤها لم يتوقفا إلى إن وصلت داليا وأمسكت ذراعها ودخلت بها غرفة ياسر. وخلفها الشابة المساعدة لماريا وقبل أن تغلق الباب نظرت الشابه لماريا بشرود وهي واقفة أمام باب الغرفة وأمسكت يدها وأدخلتها ببطء إلى الغرفة، حينها كان مصطفى عدلان ما زال خارج نطاق المكان والزمان واقفًا بلا أي حراك. أعين مفتوحة ولكنها لاتبصر، قلب ينبض ولكنه لا يشعر، كالمجذوب هائم سارح بنظراته على جثة زوجته، مرزوق ينظر إلى زكريا ويقول:

- قُلت لمعإليك أرواح شريرة بتسكنه. مش قادر عليها سعادتك.

- أرواح شريرة! دا راجل مصلي وحفيد الشيخ عدلان. هو إيه اللي حصل يا مرزوق أنا سايبك معاه في الغرفة إزاي خرجتم وإزاي ده حصل.

ردَّ مرزوق: للأسف ده اللي انتم كنتم بتشوفوه ظاهريا. لكن في باطنه كان شيء تاني.

- بعدين نفهم الموضوع دا، بس الأول إيه العمل في الموضوع اللي إحنا فيه؟

صمت مرزوق يفكر كالعادة بعقله الشيطاني الخبيث ثم توجه إلى غرفة «مصطفى عدلان» وخرج مسرعًا يحمل ملايه سريره وغطى بها جثمان ماجي. حينها كانوا كل الحاضرين

في صدمة ورعب. ولولا أن كانت التكنولوجيا لم تحنْ في ذلك الوقت كانت سيارات البوليس تواجدت في غضون الثواني. نظر مرزوق إلى زكريا وأمسك ذراعه وجذبه متحركًا بعيدًا عن الأنظار وفمه لامس شحمة أذنه وقال له بصوت خفيض:

- حاول تخلص الليلة دي ياباشا لو الموضوع دا البوليس شم خبر عنه هياخد فيها على الأقل مؤبد.

- طب والناس دي أعمل فيها إيه؟

- أنا هتصرف، ما تقلقش.

- طب هو قتلها ليه أنا مش فاهم؟

-- مش هو يا باشا، بس عشان نثبت دا ما حدِّش هيقتنع. نخلص من الليلة دي وأنا هفهمك على كل حاجة.

ثم صمت لحظات أكمل وهو يلتفت حوله:

- إلا هو فين ياسر ياباشا؟

ردَّ زكريا: تقريبًا في غرفته معاهم.

- تمام، أنا لازم أفضل فترة معاهم؛ لأن هيكون في خطر على ياسر من مصطفى بيه.

نظر له زكريا باندهاش غريب:

- ليه هو ممكن يقتله هو كمان؟

- ممكن.

- طب والعمل ؟

- هتتحل بس نخلص من الليلة دي وهتتحل.

تركه مرزوق وسط حيرة ودهشة وتفكير بشرود، الليلة

أصبحت دامية.. دماء وأرواح شريرة، وهمٌ صنعه مرزوق بلا أي جهد ولا مشقة. أفكار شيطانية حتى الشيطان نفسه لا يستطيع أن يفكر بها ويصنعها. ولكن بواسطة شيطان الإنس مرزوق دخلت القبيلة الزرقاء بكل سهولة إلى تلك العائلة المختار منها آخر نسلهم وذريتهم ياسر، ومن حينها انقلبت العائلة بأكملها رأسًا على عقب.. وقف مرزوق وسط المدعوين يهمهم بتعويذاته الشيطانية الخبيثة، حتى انصرف الجميع كأسراب السردين في هجرتها كتلة واحدة بلا أي وعي أو عقل، انفض الجميع إلا من كانوا بالغرفة الشابة ومعها ماريا، وفجأة صرخت شجن بأعلى ما فيها:

- خاااااااااااالد

انتفضت داليا برعب

- خالد ماله يا شجن؟.. انتي عارفه إن خالد مش هنا، هدأت شجن قليلًا، وتذكرت أن زوجها وخالد خارج البلاد ولم يستطيعا حضورَ حفلة ياسر لظروف الطيران الصعبة.. بكاء من شجن.. وتلك الفتاة التي قد ألقاها القدر في وسط تلك العائلة الثرية.. نظرت داليا إلى الفتاة ومدَّت يدها تلتقط منها رقية.. ونظرت لها بشكرٍ وعرفانٍ كبيرٍ وقالت:

- أشكرك يا آنسة.

ردَّ الفتاة: لا شكر على واجب تحت أمركم يا فندم دا مصطفى

بيه لحم كتافنا من خيره.. التفت لها شجن باستغراب:

- إنتِ مين يا شاطرة؟



- أنا كنت من ضمن المدعوين اللي مصطفى بيه بعت لنا وقالنا نحضر الحفلة.

- ومين الست دي؟ هي معاكِ؟نظرت بتردد لاتدرى ما تفعل وما هو الرد الأمثل.. ثم قالت:

- دي جدتي.

قطعت داليا سؤال كانت سوف تسأله شجن.

- وانتِ طلعتيها ليه كل دا.. هي ضريره مش كدا؟

أجابته الفتاة بكلمات متقطعة وتلعثم شديد:

- أنا أصل... هي قطع ترددها صوت رجل صادر من ماريا.

انتفضت شجن من مجلسها، وأخذت خطوتين للخلف وداليا احمرَّ وجهها رعبًا وهي واقفةَ بجانب سرير ياسر والفتاةُ صمتت وذهلت، ظلت متجمدةً في مكانها بلا أي حركة.. والصوت ما زال يتحدث:

- احترسوا، إنهم قادمون .

***

الحلقة الثانية والثلاثون

الانهيار

ذعر ورعب وملامح فزع استقرت بين تجاعيد وجوههم..

وتلك الفتاة تقف في شرود ذهن تسترجع ذكرى أول مرة رأت فيها ماريا، صورة تراها أمام عينيها كأنه مشهد سينمائي وهي ذاهبة ذات مرة إلى سوق الخضار خلف منزلهم المتهالك القديم بحجر النواتية بالإسكندرية.. خرجت من باب المنزل وجدت سيارة نصف نقل وسيدة عجوز جالسة داخلها تحمل على صندوقها الخلفي أغراضًا قديمة في زقاق المنزل الضيق تسد جنباته، حاولت المرور من تلك الفراغات بين جدران المنزل والسيارة وبالكاد مرت..

بصعوبة وهي تتنفس غضبًا:

- اصطبحنا واصطبح الملك لله.. هو ينفع يعني كدا يا أسطى.. نعدي ازاي يعني؟ ما تقفوا بَرَّه وتنزّلوا حاجاتكم براحتكم.

نظر لها السائق بلا أي اهتمام وانحنى ينظر للسيدة من أمام السيارة:

- ارتحتِ كدا يا حاجة.. آديكِ سمّعتينا كلمتين من اللي يسوى واللي ما يسواش.

رفعت رأسها من على عكازها الذي كانت تسند رأسها عليه:

- معلش يا ابني.. امسحها فيَّ.

صمت السائق والتفت إلى مساعده بغضبٍ وحزمٍ قائلًا:

- خلَّص يا ابني ونزِّل لها حاجاتها خلينا نمشي..

- تمشي فين يا ابني.. إنت شايفني أنا عميا أعمل إيه لوحدي وأنا مامعييش حد.

- مالناش فيه.. اللي اتفق معانا قال لنا نوصلك بس..

- طب يا ابني ربنا كريم.

تبددت الرحمة فجأة من قلب السائق.. لا ملامحَ شفقة تفيد ولا رجاء واسترجاء تجعل منه بشرًا.

ظل المساعدُ يرفع باقي الأغراض المتبقية من على صندوق سيارته، ثم أنزل السيدة من السيارة وركب سيارته وانطلق ينعطف يمينًا، كانت الفتاة وصلت من الناحية الأخرى وهي تحمل أكياسًا سوداء بيدها.. تنظر باندهاش على أشياء السيدة الملقاة داخل حوش المنزل، وهي جالسة على كرسي خشبي متهالك كان من بين أغراضها.. نظرت الفتاة إليها بشفقة وسألتها:

- مالك قاعدة كدا ليه؟

- معلش مش قادره أدخل.

وضعت الفتاة أكياسها بجانب الطريق، ولوَّحت بيدها أمام وجهها علمت حينها أن تلك السيدة عمياء لا تبصر، ثم اقتربت وانحنت ناحيتها وسألتها:

- طب انتِ تعرفي شقتك فين يا حاجة؟

- العنوان كان مع السواق.. وهو قال لي هنا.. شقة في الدور الأرضي.. المفتاح آهو.

التقطت منها المفتاح وتذكرت أنها سمعت منذ أيام قليلة أن هناك من استأجر الشقة المتواجدة بالدور الأرضي..

الفتاة :- هو انتِ يا حاجّة اللي أجّرتِ؟

- لا يا بنتي.. هبقى أحكي لك بس دخليني ينوبك ثواب.

أمسكت يدها وأوقفتها من على الكرسي واستدارتا متجهتين ناحية الشقة حتى توقفتا عند بابها.. وأدخلت المفتاح بمكانه وأدارت المفتاح بلطف حتى سمع صوت تكات القفل يفتح.. دفعت الباب، ونظرت بداخل الغرفة بامتعاض وهي تقرص على شفتيها وقالت:

- بصي بقى يا حاجّة، الشقة محتاجة تنضيف، إطلعي عندنا فوق.. عقبال ما أنضفها لك.. ما تقلقيش مش هتاخد مني وقت.

أومأت بالموافقة في صمت، وأخذتها الفتاة ببطء تساعدها في صعود السلم للطابق العلوي.

- اسمك إيه بقى يا حاجّة؟

- ماريا.. وانتِ؟

- زينب.. بصي أنا هقول لك يا خالتي ماشي.. إحنا هنا بنقول للستات الكبار يا خالتي.. يلا بقى اطلعي واحدة واحدة على مهلك.

ابتسمت ماريا بلطف، واستمرتا فيالصعود ببطء حتى وصلتا إلى باب شقتها، دخلتا في هدوء وأجلستها الفتاة على أريكة في صالة الشقة، ونادت على أمها المقعدة على سريرها من سنوات:

- أمي.. في ضيوف عندنا، وهعمل حاجة في الشقة اللي تحت وجاية.

فجأة ردت عليها ماريا:

- انتِ بتقولي لها ليه؟.. وهي ولا بتسمع ولا بتشوف.. رد صدم زينب منها..

- وانتِ عرفتِ منين يا خالة ماريا؟

ابتسمت ماريا:

- بعدين هتعرفي.

توجهت زينب مسرعة إلى الأسفل.. عملت على كل شيء حتى انتهت وانتهت معها طاقتها كاملة، وكان كل ما يشغلها أنه ما زال أمامها عمل آخر بشقتها، توجهت إلى شقتها بالأعلى في تعب.. وعند دخولها وجدت أن كل شيء مرتب والمكان نظيف ومحكم.. ورائحة الطعامُ تفوح من داخل المطبخ.. نظرات البلاهة والاندهاش والفضول تجمعت حتى أحدثت في زينب مزيج جنون مع بلاهة غريبة.. عقل مشتت.. أسئلة كثيرة بالعقل والتشتت جعلتها تسأل:

- إيه دا ازاي يعني كدا؟.. ازاي؟.. هو مين اللي عمل كدا؟

- إنتِ طيبة يا زينب.. عشان كدا ربنا بيوقف لك ولاد الحلال.. يلا بقى نزليني الشقه عشان عايزة أنام.

- طب مش هتحكي لي حكايتك؟

- هو انتِ لسه فيكِ نفس تسمعي.. روحي نامي.

وبكرة وإحنا رايحين الحفلة.. هبقى أحكي لك.

- حفلة إيه؟

- الحفلة بتاعة مصطفة بيه عدلان.. مش عارفاه؟

- لا عارفاه.. بس انتِ إزاى عرفتِ؟

- أنا معزومة يا بنتي.. ولا انتِ مش عايزة تاخديني معاكِ؟

- لأ إزاى.. خلاص بكرة مع بعض.. ولو احتجتِ أي حاجة نادي عليَّ.. أنا هبقي معاكِ.

تتذكر زينب وهي واقفة في ذهول مصدومة من ذلك الصوت العجيب.. صراخ شجن الدائم كأنه صمت.. وذعر داليا.. ألجمها بشدة.. وماريا ما زالت تتحدث بصوت رجل مجهول:

- احترسوا، إنهم قادمون.. لن يفلتوا أحد منكم وياسر هو المختارُ.. القبيلة الزرقاء قد وجدته.. احترسو من شيطان الإنس «ميخاييل».

ثم خرت على الأرض مغشيًا عليها وأنفاسها تتسارع، أسرعت زينب ناحيتها وشجن متجهة ناحية الباب تحاول فتحه بلهفة وذعر كبيرين.. وداليا خلفها حاملة رقية.

داليا: إلحقني يا زكريا

سـمع زكريـا نـداء داليـا وأسرع بمسـك المقبـض وفتـح الباب في سرعـة حتـى خرجـت شـجن وخلفهـا داليـا.. وارتمـت في أحضـان زكريـا خوفًـا وذعـرًا، فسـألها زكريـا:

- إيه في إيه مالك؟

دإليا بنحيب يقطع حروف كلامها:

- الست العمياء.. أنا عايزه أمشي من هنا.

- سـت مـين؟ قالهـا وهـو يختلـس النظـر بداخـل الغرفـة.. لم يجـد إلا زينـب واقفـة ناحيـة نافـذة خلـف سريـر يـاسر تنظـر منـه في شرود.. ومـرزوق ناظـرٌ إلى شـجن ثـم سـألها:

- في إيه؟

- السـت الـلي كانـت واقفـة هنـا مـا أعرفـش دخلـت ازاي معانـا.. مـرة واحـدة اتحولـت.. وقالـت القبيلـة الزرقـاء..

وكلام غريب

نظر إلى داخل الغرفة في دهشة.. لم يجد أحدًا إلا زينب..

- هي فين؟

- جُوَّه آهي على الأرض.

دخـل مـرزوق بسرعـة باحثًـا في أرجـاء الغرفـة، لم يجـد أي سـيدة.. إلا زينـب ويـاسر عـلى سريـره في نـوم عميـق.. توجـه إلى زينـب وأمسـك ذراعهـا بعنـف وجذبهـا إلى الخـارج..

- هي دي؟

- لا مش دي، ست تانية عمياء.. كانت معاها.

صمتت زينب والرعب قد تملك من ملامحها، تنظر في وجوه الحاضرين، ثم ردت بتلعثم باكية:

- أنا ما أعرفهاش، أنا كنت بساعدها بس إنها تيجي الحفلة والله.

سألها مرزوق: تعرفيها منين؟

ما أعرفهاش.. دي جارتنا في البيت ووصلت إمبارح أول مرة أشوفها ويارتني ما شُفتها.

قال زكريا لمرزوق:

- خليها معانا لغاية ما نخلَّص الموضوع دا ونشوف حكايتها.

حينها دخل زكريا الغرفة متوجهًا إلى النافذة ونادى على حُرَّاسه:

- إنتوا يا بقر.. تعالوا.

أسرع واحد منهم إلى باب الفيلا الداخلي، وكان مرزوق حينها متجهًا ومعه زينب إلى الأسفل..

- زكريا باشا بيقول لكم خليها عندكم ما تسيبوهاش.

التقط الحارس زينب بعنفٍ وجذبها بقسوة وهي ببكاء ونحيب:

- أنا معملتش حاجة والله أبوس ايدكم أنا أمي مريضة في البيت لازم أروح.

لم يعِر مرزوق اهتمامًا لرجائها، أغلق الباب والتف مسرعًا إلى أعلى، وجد زكريا وشجن وداليا جالسين بالغرفة في صمت،

وزكريا واضع يديه على رأسه، وشجن واقفة بجانب سرير ياسر ناظرة له بعطف، وداليا جالسة على كرسي بآخر الغرفة حاضنة ابنتها رقية، وفي شرود ذهن نظر يمينًا ويسارًا.. بشغف ولهفه، نظر له زكريا بغرابة وقالها:

- مالك يا مرزوق؟

- أومال فين مصطفى بيه؟

- ماهو بَرَّه عندك؟

خرج مرزرق باحثًا عنه لم يجد أحدًا.

- بَرَّه فين؟ وفين الجثة؟

انتفض زكريا من مجلسه بغضبٍ مسرعًا إلى الخارج باحثًا عن مصطفى وجثة زوجته التي اختفت فجأة.. وداليا تضرب بيدها رأسها قائلة:

- أكيد دا حلم، دي مش حقيقة لا، دا حلم أكيد؟ وشجن ببكاء تحرك رأسها يمينًا وشمالًا برأسها رافضة لواقع أشبه بالخيال.. لم يعلموا أن القادم أسوأ وأعظم، وأن القبيلة الزرقاء قد أحكمت سيطرتها على عقولهم، لم تعلم أن ذلك الطفل الهادئ سيصبح لعنة عليهم جميعًا.. قدر كان محتومًا.. انطفأت الأنوار فجأة، وحلَّ صمتٌ صاحبَه صوتٌ من بعيد يردد ضحكات شيطانية مرعبة:

- لقد انتهى أمركم الآن.

❋ ❋ ❋

الحلقة الثالثة والثلاثون

الليلة الأخيرة

تلك هي آخر ليله بالفيلا المسكونة. سقوط مصطفى فجأة وموت ماجي المريب واختفاء ماريا العجيب حتى خروج زينب قبل لحظات من انطفاء الأنوار فجأة.. هل كانت ترتيبات قدر أم تلاعب القبيلة بعقولهم جعلهم عائلة مرتبكة ومجنونة.. الأحداث فجأى تبدلت من حفلة سعيدة إلى حفلة رعب مميتة، داليا تخبط بيدها على رأسها عسى أن تكون في حلم أو كابوس مرعب.. هكذا دائمًا نحن البشر؛ نحاول الهروب من الحقيقة أو ما نراه بأعيننا حقيقة.. حينها يصبح الأمل وحيدًا بلا أي إرادة، فقط أمل الانتظار .انتظار القدر ، آملين أن يكون ما نراه ليس الحقيقة أو آملين في أن تصبح أوهامنا حقيقة.. كلٌّ حسب ما يريد وكلٌّ حسب إرادته، ولكن الأهم هو أنها قد بدأت اللعبة لعبة الحرب بين القبيلة البيضاء والقبيلة الزرقاء، لا يهم شعورك أو وجدانك الأهم بالنهاية إن من بينهم منتصر يوهمونك أن الأمل قادم، وفجأة تسلبهُ منك بعنفٍ القبيلة الزرقاء حتمًا ستكون قادمة،

لعبة أنت دائمًا الخاسر بها إلا صاحب الإرادة الآن أيقنت داليا وشجن أن تلك الفيلا مسكونة بأرواح شريرة خفية، حينها أرجعت دإليا رأسها إلي الخلف مغمضة العينين في تعب.. فجأه انطفأت الأنوار، وصوت من آخر الرواق يتقدم نحوهم ببطء مريب ومرعب وأنفاس تتنفس كأنها زئير أسد منتصر . أفزعها بشدة، نظرت حولها لم ترَ أحدًا بجانبها.. ورقية.. الطفلة الساكنة طوال تلك الأحداث.. فجأةَ أصدرت صراخًا جنونيًا.. لا صريخ طفل ولا حتى بكاء.. صوت صفير مع صراخ عجيب.. صرخة هزت الفيلا من تحت أقدامهم.. ارتعبت داليا وظلت تنادي بكل ما فيها من صوت، لا أحد يجيب، وأخذت تجري بين الظلام ولا تدري أين المفر.. أحيانًا في لحظات الرعب والخوف تجعلنا أشياء نتحرك بلا دليل أو وجدان أو روح فقط أنت والظلام وداخلك الرعب.. تهرول بلا أي هدف ولا طريق.. ظلت تقطع الظلام بجريٍ هستيريٍّ ورقية الطفلة ما زالت تصرخ بصوت غريب مرعب.. وفجأة.. ضوء رفيع يخرج من فمها المفتوح أضاء وجه داليا.. نظرت بين يديها وجدت ابنتها تضيء بشعاع أبيض.. ومن شدة الذعر أسقطتها داليا فجأة من بين يديها بفزع شديد.. وقبل أن تلمس الأرض ارتفعت بالهواء كأنها محمولة على كفوف خفية، اختفت قوانين الجاذبية في لحظة.. وشعاع أبيض يخرج من كل فتحات وجهها، واستدارت حولها هالة بيضاء تشع ضوءًا أبيض يعمي الأعين.. وصراخ مرعب من داليا وهي ترجع بخطوات بظهرها إلى الخلف حتى أوقفها ارتطامها بشيء خفي، استدارت داليا وجدت مرزرقًا قد

اختلف شكله.. وأصبح وجهه كشيطان أحمر.. يرمقها بنظرات شيطانية.. لتصرخ منادية على زكريا ولكن لا أحد يجيب.. اختفى كل شيء حتى نبضات قلبها المتسارعة قد اختفت من بين ضلوعها، حينما ضرب مرزرق المتحول صدرها واقتلعه بلا أي رحمة، مبتسمًا ابتسامات شيطانية خبيثة.. سقطت حينها داليا على الأرض بدمائها.. ورقية الطفلة ما زالت بالهواء مرتفعة تصرخ صرخات متقطعة مرعبة وشعاع الضوء ما زال يخرج من فراغات وجهها باستمرار.. أسرع نحوها مرزوق المتحول يجري بكل قوة وغضب حتى استوقفه تحول الشعاع إلى مارد عظيم ذي وجهٍ أبيض ويمسك بيده سيفًا كبيرًا.. وهمَّ أن يضرب رأس مرزوق إلا أنه تفاداه باحتراف.. وأصبح خلف المارد بحركة بهلوانية أرضية.. التفَّ إلى الخلف المارد.. وقال المارد بصوت أجش عظيم:

- المعركة لن تنتهي بسهولة يا «دنهس».. لا تحسب أنها النهاية.. نحن سنظل هنا.. سنعطيهم الأمل والطموح.

مرزرق المتحول بضحكات شيطانية:

- ستعطي مَن أيها الأبله، لقد ماتوا جميعًا.. وياسر أصبح وحيدًا.. ونحن الآن سنغير اللعبة لا نريد قتله، ولكننا نريد هالته هي الأقوى سوف نحاصره من كل جنباته وسنمتصها ومن سيبقى من عائلته سيظل محبوسًا في أوهام نصنعها، ومن يستطيع الإفلات منهم سنقتلع قلبه بلا رحمة.. البشر ليسوا الأرقى.. نحن القبيلة الزرقاء.. صنعنا جيلًا جديدًا.. من الجن وأصبحنا لا نقهر.. وبقي لنا ياسر.. سنتركه قليلًا؛

لأنـه الأخـير لدينـا العديـدُ لنصنعـه لغـيره.. وعندمـا نعـود.. لـن يسـتطيع أحـد إيقافنـا، والمعركـة القادمـة ليسـت هنـا.. معركتنـا في العـراق.. هنـاك قـد بـدأت لعبـة جديـدة.. في انتظـارك.

وبابتسـامة سـخرية بـدأت تتلاشـى ملامـح الشـيطان مـن وجـه مـرزوق، وقـال المـارد:

- إذًا سـتبدأ اللعبـة.. وسـتكون بالنهايـة ميـت واختفـى الضـوء بسرعـة.. ومـا زالـت رقيـة.. بالهـواء معلقـة كالمحمولـة عـلى كفوف خفيـة.. وفجـأة.. سـقطت عـلى الأرض مرتطمـة بعنـفٍ.

انتفضـت دإليـا فجـأة، يبـدو أنهـا غفـوت قليـلًا.. تنظـر حولهـا لم تجـد أحـدًا.. ورقيـة بـين أحضانهـا، وضعتهـا بجانـب يـاسر عـلى سريـره وتحركـت ببـطء إلى خـارج الحجـرة باحثـةً عنهـم، مناديـةً عـلى زكريـا في كل خطـوة تخطوهـا، وفي عقلهـا ملامـح مشوشـة عن حلـم مرعـب لا تتذكـر منـه إلا كلمـة «كلهـم قتلـوا».. اسـتمرت في البحـث ببـطء، تفتـح أبـواب الغـرف في طريقهـا، ولكـن كل الغـرف فارغـة، حتـى وصلـت إلى السـلم الواصـل بـين الـدور السـفلي بالعلـوي.. وقفـت متجمـدة عـلى أول الـدرج العلـوي وتحـدق بعينيهـا بعنـفٍ ودمـوع تنهمـر مـن عينهـا في صمـت.. وفجـأة أطلقـت صرخـة مدويـة هـزت أركان الفيـلا بعنـفٍ، حينـما وجـدت جثـة زكريـا وشـجن، ومصطفـى عـدلان بجانبهـم واقـفٌ بـلا حركـة، ومـرزوق بجانبـه يمسـك يديـه محـاولًا إفاقتـه، هرعـت إلى الأسـفل ببـكاء هيسـتيري، وجثـت بجانـب جثـة زوجهـا بحـزن تنظـر لـه تـارة وتنظـر إلى مصطفـي الواقـف أمـام الجثـث تـارة أخـرى.. بـلا أي كلمـة، ومصطفـى عـلى نفـس حالـه بـلا أي

تعبير، سارحًا مسلوبٌ عقله.. ينظر إلى جثثهم بلا أي شعور.

نظرت إلى مصطفى بكراهية عظيمة، وقالت:

- إنت إيه يا أخي، منك لله.. إنت إيه اللي بتعمله فينا دا.. حرام عليك.. يبقى كان كلام مرزرق عنك صح.

قاطعها مرزوق بحزن خبيث:

- لا مصطفى بيه مالوش علاقة أنا أبلغت زكريا باشا إن الفيلا دي مسكونة.. واللي هيجي منكم ممكن ما يطلعش.. وقلت له يبلغه لكن بقى اللي حصل إنه ما بلّغهوش.

لم تعلم أن ذلك الشيطانَ هو سبب كل تلك الأحداث القاتلة..

ناظرة داليا ببكاء وحزن والرعب يتملك وجدانها.. بعنف كبير.. تلك الأحداث لا يمكن بأي سبيل أن تكون حقيقية.. وهمٌ أكيد وهمٌ لا يجوز تحقيقه إلا إذا كان بواسطة يد خفية توقف عقولنا من خلف ستار غير مرئي تأخذنا من أرواحنا بين الأزمنة والأمكنة، تعطينا شيئًا من عقل في لحظة وتسلبه منا وقت ما تريد.. حرب خفية بين قبائل الجن من قديم الزمان.. واستخدموا فيها البشر في أبشع صورة من الصور، والآن لم يبقَ لياسر أحد، لا سند ولا عزوة، ولا ظهر إلا زوج شجن «زهير» وخالد ابن خالته، و مصطفى عدلان منذ ذلك الوقت أصبح مسلوب العقل، لعنة قد لعنت بها العائلة مقدَّرة من آلاف السنين.. فجأة تحول الحفل إلى سرادق عزاء بالقاهرة، وتلك السلطة المتحكمة جعلت كل أوراق القتل موتًا قدريًّا.. ماجي بسكتة دماغية، وزكريا لأنه شارب الخمر أصبح ميتًا في حادثة،

وشـجن أصبحـت منتحـرة بعـد وفـاة أختهـا ماجـي، تلاعـب بـالأوراق مثلـه كتلاعـب بالعقول كلهـم أصبحـوا القبيلـة الزرقاء.. عقـل شـيطاني دخـل العائلة، ويبـدو أن القبيلـة الآن لا تريـد إلا هالة يـاسر القويـة؛ لذلـك حافظـت عليـه طـوال السـنوات.. حتـى تكبر وتقـوى وكأنـه مفرخـة لتربيـة مـا ليـس لـه بالنهايـة.. وذلـك الأمـر كان عـلى هـوى مـرزوق أصبـح هـو الصديـق المتبقـي للعائلـة إلا دإليـا كانـت دائـمًا تشـعر نحـوه بغصـة قلـب قبضـات قلبهـا تجعلهـا تفـر مـن وجـوده وإن كان عـلى بُعـد أميـال، وجهـه يذكِّرهـا بـكل ذكرياتهـا الأليمـة. واسـتمرارها بالتعايـش مـع تلـك الذكريـات في سـبيل أمـل واحـد هـي رقيـة طفلتهـا الوحيـدة.. أصبحـت العائلـة صاحبـة الهالـة النورانيـة تملأهـا الهـالات الناريـة.. أصبـح الآن ياسر بـلا أم.. وأب بـلا عقـل.. ليـس لديـه سـوى زوج خالتـه «زهـير» وخالـد.. مضـت أعـوام عـلى حالهـا.. مصطفـى في غرفتـه هائـم بـلا حركـة ويـاسر مـع زهـير وخالـد.. وبعـد أن أصبـح الأولادُ في سـن المراهقـة المعـروف وداليـا بعـد وفـاة زكريـا أصبحـت بـلا دخـل ولا سُـلطة.. وافقـت عـلى طلـب مـن زهـير بالـزواج، وبـما أن يـاسر الوريـث الأوحـد والوحيـد لـكل أمـلاك العائلـة لا سـبيل غـير أن يصبـح زهـير هـو الـوصي عـلى تلـك الأمـوال والأمـلاك في كل أنحـاء العـالم، واسـتمر يـاسر مـع خالـد ورقيـة بنفـس المنـزل عـلى هـذه الحـال، ومـرزق كان دائـمَ الـتردد عليهـم للاطمئنـان بالتأكيـد أن حالـة مصطفـى كـما هـي، لأنـه يعلـم جيـدًا أنـه إن أفاق مصطفـى ممـا هـو عليـه سـيصبح أقـوى ممـا سـبق وتنتهـي أسـطورة القبيلـةُ وأسـطورته بـلا عـودة ولا هـوان، مضـت أعـوامُ خلفهـا أعـوام حتـى أصبـح خالـد ويـاسر شـبابًا إلا أن خالـد يكـبر عـن

ياسر ببعض السنوات القليلة.. ورقية حينها أصبحت شابة جميلة مثقفة هادئة.. ولكنها كانت دائمة النقد لياسر وأبيه منذ الصغر، كراهية داليا الخفية لمصطفى انتقلت بلا أي شعور لابنه ياسر كانت تعامله بسوء خلال تلك الأعوام، وأصبحت الكراهية عادة ثقافة تتناقلها بينها وبين ابنتها الوحيدة.. رقيه أصبحت شابة وخالد أيضًا.. وأصبح الإعجاب بينهما حبًّا.. والحب أصبح زواجًا أسطوريًّا في أرقى فنادق ألمانيا، واستقر الحال، والذكريات الأليمة انتهت.. إلى أن حدث في يوم، وعندما أكمل ياسر عامه الثلاثين.. انقلبت حياته كلها.. بعد وفاة مصطفى عدلان منتحرًا داخل غرفته.. كان بالنسبة له قدوة وأبًا وصديقًا.. نعم مصطفى كان بلا عقل، ولكن كان يحكي عنه الأساطير من زهيرالذي توفي قبل مصطفى عدلان بشهرين، وأصبح خالد هو صاحب إدارة المؤسسة باقتدار، وبعد وفاة مصطفى عدلان.. انقلبت حياة ياسر رأسًا على عقب.. وبفضل مرزوق الشيطان.. كان الأمر أسوأ وأعمق.. أحلام وكوابيس دائمة.. فزع ورعب وحدته.. جعلت منه عاشقًا للصمت، ومن تلك اللحظة بدأت القبيلة الزرقاء بلعبتها المعروفة، وفي ذات ليلة دخل خالد على ياسر بغرفته، يخبره أن هناك من يريد شراء الفيلا بالعجمي في الإسكندرية، لم ينطقْ حينها ياسر فقط أومأ برأسه إلى خالد بالموافقةِ، حينها قال له خالد:

- الناس اللي عايزة تشتري الفيلا.. عايزين يخلّصوا الديي معاك انت.

- من إمتى يا خالد؟ إنت اللي متولي الزمام كله.

اتصرف أنا ما ليش في الحوارات دي.

- بس هُمَّا مصممين عليك انت.

ياسر بعصبية:

- ماشي يا خالد شوف إمتى وهبقى آجي.

تركه ياسر وذهب إلى مقعده المتحرك بشرفة غرفته..

وصمت وأمسك بمحموله، وظل يحرك إصبعه عليه كالمعتاد ظل خالد ناظرًا له وقال:

- طيب تمام بكرة بقى إن شاء الله نسافر مع بعض.

أومأ برأسه موافقة وهو واضعٌ سماعات الأذن، خرج خالد متجهًا إلى باب الغرفة وأمسك المقبض، وقبل أن يفتحه التفَّ برأسه إلى الخلف باتجاه ياسر:

- إنت مصمم إنك تفضل قاعد لوحدك برضو؟ تنهيدة ملل لياسر وهو ناظرٌ لخالد بلا أي إجابة أوصلت إجابته بلا أي كلمة، حينها أكمل خالد طريقَه إلى الخروج.. وفي صباح اليوم التالي اتصل خالد به وهو بالأسفل عند باب الفيلا الداخلي.

- يلا بقى يا ياسر نلحق الطريق عشان نرجع بدري

- أنا نازل خلاص آهو.

حينها كان ياسر ينزل درجات سلم الفيلا، حتى وصل إلى باب الفيلا، ركب ياسر السيارة.. وانطلق خالد متخذًا الطريق إلى الإسكندرية.. صمت تام بالسيارة حتى وصلا إلى باب الفيلا وجدا المشتريين واقفين أمامها بابتسامة ترحاب..

نـزلا مـن السـيارة، وأسرع خالـد ناحيتهـم.. رافعًـا يديـه بالسـلامِ.. مبتسـمًا.. وهـو مشـيرٌ بيـدهِ الأخـرى إلى يـاسر.

قال خالد:

- شرفتونـا والله.. معلـش اتاخرنـا شـوية بـس السـكة مـش أكـتر.. أعرَّفكـم بسـليل أسرة عـدلان يـاسر مصطفـى عـدلان.

حينهـا ظهـرت يـد مـن خلفهـم تزيحهـم كسـتار مـسرح.. ظهـرت مـن خلفهـم سـيدة عجـوز عميـاء مبتسـمة.



الحلقة الرابعة والثلاثون

رانيا

سـلام بالأيـدي وإشـارة مـن خالـد إلى يـاسر بابتسـامة ترحيـب لمشـتريين الفيـلا..

تحدَّث خالد قائلًا:

- أعرَّفكـم بسـليل أسرة مصطفـى عـدلان «يـاسر مصطفـى عـدلان»

ابتسـامة الـلا مبـالاة مـن يـاسر وهـو يتصفـح هاتفـه بـلا أي تقديـر أو اهتـمام لهـم.. نظـر لـه خالـد بإحـراج كبـير حينهـا ظهـرت مـن خلفهـم سـيدة عجوزعميـاء مبتسـمة ناظـرة إلى يـاسر بفخـر كبـير:

- كبرت يا ياسر وبقيت راجل شكلك حلو.

نظر لها ياسر بتعجب:

- إنتِ تعرفيني يا حاجّة؟

نظر خالد إلى ياسر مندهشًا، ثم ابتسم خالد:

- أعرَّفـك بقـى يـا سـيدي، دول معرفـة مـن زمـان قالـوا لي إنهم

كانــوا في الحفلــة بتاعتــك لمـا اتولــدت الــلي أنــا مــا حضرتهــاش.. وكان نفســهم يشــتروها مــن زمــان.. لكــن ســافروا ولســه راجعــين مــن فــترة صغــيرة ولمـا رجعــوا قالــوا يشــتروها.

بقــي يــاسر صامتًــا، والســيدة العميــاء مــا زالــت ثابتــة بوجههــا كأنهــا تنظــر بــلا أعــين عــلى يــاسر.. وهــو بــلا أي اهتــمام يخطــو خطواتــه خلفهــم، ناظـرًا إلى شاشــة المحمــول بتركيــز وصمــت، حينهــا كان أمامــه خالــد يرشــد المشــترين ويــشرح لهــم مداخــل الفيــلا ومخارجهــا.. حتــى وصــلا إلى بــاب الفيــلا الداخــلي.. وأول مــا أدار خالــد المفتــاح بكالــون بابهــا وبــدأ يدفــع البــاب.. ومضــت ومضــات ضوئيــة بأعــين يــاسر كفــلاش كامــيرا، وبينهــا ملامــح أنــاس ملقــاة عــلى الأرض مقتولــين.. هــز رأســه بعنــفٍ وهــو مغمــض العينــين، وتلــك الســيدة العميــاء موجهــة رأســها إلى يــاسر في صمــت.. وخالــد مــع المشــترين قــد ســبقوهم إلى داخــل الفيــلا مشــيرًا بيديــه إلى أعــلى يــشرح لهــم أماكــن الغــرف.

- فــوق بقــى حضرتــك خمــس غــرف.. غرفــه رئيســية وغرفتــين أطفــال.. وغرفتــين ضيــوف.. كل غرفــة بالحــمام الخــاص بتاعهــا.

ثم التفت خلفه وقال:

- اتفضلوا معايا كدا على المطبخ وغرفة الخدامين.

ونظر إلى ياسر وسأله:

- إيه هتفضل هنا ولّا هتيجي معانا

ياسر بلا اهتمام:

- لا روح انــت أنــا مســتنيكم هنــا، توجــه خالــد حينهــا مــع المشــترين إلى غرفــة الطعــام..

قالت السيدة:

- إزيك يا ياسر؟

رد ياسر سريعًا بغير اهتمام:

- آه الحمد لله

صمتت السيدة لوهلة ثم استكملت حديثها:

- ما تسيبك من اللي في إيدك دا وتكلمني.. أنا عايزة أقول لك كلمتين قبل ما يرجعوا.

نظر ياسر لها باستغراب وفضول شديد وبشرود ذهن.. كيف تراني تلك السيدة وهي يبدو عليها العمى.. ينظر لها يتفحص وجهها بدقة، ملوحًا بيديه أمامه وهو يقول:

- إنتِ تعرفيني يا ستي انتي؟

ابتسمت السيدة وقالت:

- أنا أعرفك من قبل ما تتولد.. أنا هنا كل دا عشانك انت..

- عشاني أنا؟ اشمعنى؟ بقول لك إيه انتِ مارُحتيش معاهم ليه؟

- لأ أنا عايزاك انت.

- أنا؟ إشمعنى أنا؟

- كل حاجة هتعرفها في وقتها، بس كل اللي عايزة أقوله لك إن حفيدتي رانيا هتبقى معاك من النهارده. قاطعها صوت خالد والرجل وهما يتفقان على إكمال التعاقد على الفيلا، وياسر ينظر للسيدة بنظرات التعجب والدهشة..

في حين قال خالد:

- خلا ص اتفقنا.. كدا اعتبروها بتاعتكم من النهارده.

تقدَّم خالد نحو ياسر مبتسمًا، وقال:

- إيه يا ياسر!.. مالك مبحلق كدا ليه؟. خلاص خلصنا.. عايز تقعد هنا ولا إيه؟

تحركوا جميعًا إلى باب الفيلا للخروج.. وأثناء خروجهم، فاجأهم ياسر قائلًا:

- إيه يا جماعه هتسيبوا الحاجَّة كدا ولا إيه؟

هتيسبوها لوحدها

نظروا جميعًا له بدهشة واستغراب وصمت.. حينها توجه إليه خالد مسرعًا يمسك بذراعه وبصوت خفيض سأله:

- حاجه مين يا ياسر ؟

نظر ياسر خلفه لم يجد أحدًا.. امتعض وثار وأسرع يبحث في كل جنبات الفيلا وسط ذهول من المشترين للفيلا، وهو يقول:

- كان في واحدة علي كرسي هنا كانت معاكم..

ووقفت اتكلمت معايا.

- مافيش ستات يا ياسر مالك في إيه بس؟

أشار المشتريان بأيديهم بالسلام من بعيد وهم يتخذون طريق الخروج من باب الفيلا، قائلًا أحدهما لخالد:

- طب مع السلامة يا أستاذ خالد هبقى أكلمك في التليفون.

نظر لهما خالد بحسرة وأوما برأسه وهو يقول:

- ماشي يا أستاذي.. خد وقتك .

وما زال ياسر يبحث في كل أرجاء الفيلا بشغف كبيروثورة وغضب.. وهو يقول:

- أنا مش مجنون، كان في واحدة عجوزة على كرسي واتكلمت معايا اللي كانت واقفة معاهم بَرَّه.

- ما كانش في حد يا ياسر غير الراجل والست اللي معاه بس وإحنا.. ياسر بقول لك إيه إنت بقى لك فترة كبيرة مش مظبوط من كتر قعدتك لوحدك.. تعالى اقعد معايا أنا ورُقية. نظر له ياسر بامتعاض وغضب، وقال:

- أنا مش مجنون يا خالد.. أنا هروَّح لوحدي.. ومش عايز حد معايا.

خرج ياسر مسرعًا من الفيلا.. وخلفه خالد يحاول اللحاق به، وهو ينادي عليه بالتوقف ولكن بلا أي جدوى.. اختفي ياسر بين شوارع المنطقة.

أخرج خالد هاتفه للاتصال به، ولكن كان ياسر قد أغلق هاتفه.. ظل خالد يبحث عن ياسر في المنطقة وبعد أن فقد الأمل في وجوده.. انطلق بسيارته عائدًا إلى القاهرة مرة أخرى.. أخذ طريقه مسرعًا إلى الفيلا التي يمكث بها خالد.. وبين كل حين وآخر يقوم بالاتصال به، ولكن هاتفه ما زال مغلقًا.. حتى وصل إلى باب الفيلا.. وطرق بابها بشدة.. فجأة فتح له ياسر الباب مبتسمًا وكأن شيئًا لم يحدث.. نظر له خالد بغضب وقال:

- إنــت بتهــرج يــا ابنــي يعنــي أنــا لفّيــت عليــك إســكندرية كلهــا وقافــل التليفــون.. وانــت هنــا مقضيهــا فيــس.

- مش تقول لي مبروك الأول.

ردَّ خالـد باندهـاش وتعجـب كاد أن يخلـع عقلـه مـن بـين عظـام جمجمتـه، وبحـيرة تمـلأ نظـرات عينيـه:

- مبروك علي إيه؟ إنت اتجوزت وأنا مش واخد بالي؟

- آه اتجوزت .

ضحك خالد وهو يسير بخطوات بطيئة داخل الفيلا.

- لا شيخ دا إمتى بقى.. في الكام ساعة اللي سبتني فيهم؟

- آه.. بس إيه يا خالد زي القمر .

تبدلـت ملامـح خالـد وأصبحـت ملامـح متشـابكة بـين تعجب وشرود وغضب.

- إنت بتتكلم جد يا ياسر.. اتجوزت إمتى؟

- النهـارده وأنـا راجـع مـن إسـكندرية قابلتهـا.. واتجوزتهـا عـلى طـول.

- أومال هي فين؟

ياسر يغمز بعينه اليمنى: نايمة دلوقتي بكرة هعرّفك عليها.

- طـب اسـمها إيـه طيـب؟ عيـب يعنـي أخويـا يتجـوز وأنـا مـا أعرفـش حتـى اسـم مـرات أخويا.

- رانيا..



الحلقة الخامسة والثلاثون

النهاية

ردَّ خالد متسائلًا:

- رانيا مين يا ياسر؟ إمتى حصل كل دا.

- إيه يا خالد في إيه؟.. إنت مش مصدقني.. طب استنى.

ياسر مناديًا بصوتٍ عالٍ:

- رانيا.. حبيبتي.. تعالي انزلي.. خالد عايز يسلم عليكِ.

ينظر خالد في انتظار ظهور رانيا.. استمر الصمت لحظات ليست بقليلة، حتى قطعه ياسر:

- تعالي يا حبيبتي.. شوفي خالد عايز يسلم عليكِ، مش مصدق إن احنا اتجوزنا.

سأله ياسر بنظرات ملؤها الدهشة وهو يرى ياسر يحدِّث نفسه:

- إنت بتكلم مين يا ياسر؟

- يعني إيه بكلم مين؟.. ما رانيا آهي.. مش عايز تسلم عليها.

ينظر ياسر إلى رانيا:

- ما تردي يا رانيا مالك؟.. سلّمي على خالد.

نظرات خالد العجيبة أغضبت ياسر بشده بالغة:

- إنت بتبص لي كدا ليه؟.. أنا مش مجنون يا خالد..

أنا مش مجنون.

- ماشي ياسر ما فيش حاجة بس أنا عايزك تيجي معايا.. تعالى بس نشوف دكتور كويس.

- تاني هيقول لي دكتور.. بقول لك أنا مش مجنون أنا مش مجنو ن .

- طيب طيب خلاص.. أنا بهزر معاك.. ثم نظر وابتسم- مبروك يا مدام.. خلاص يا عم بكرة هعزمك عند واحد حبيبي في الجيزة بمناسبة الجوازة دي.

- لأ خليها الأسبوع اللي جاي.

- خلاص يا عم الأسبوع اللي جاي.. الشيخ مرزوق كدا كدا بيبقى موجود على طول.

ينظر ياسر بجانبه ويسأل رانيا:

- إيه رأيك أروح حبيبتي ولا لأ؟

موقف خالد أصبح صعبًا.. وقف في صمت بنظرات غير مريحة.. شعوره بالأسى أو الشفقة يحاصر جنبات وجدانه.. دموع تنهمر من عينيه في صمت.. الآن قد تأكد أن عقل ياسر أصبح مسلوبًا مثله مثل أبيه تمامًا.. صديق العمر الأخ ابن خالته.. أصبح مجذوبًا وبلا رجعة.. ولكن ياسر لم يرَ نفسه كذلك..

يـرى ويسـمع ويتحـدث مـع مـن يـراه في عالمـه المصنوع مـن الوهم، أو كـما يـراه النـاس وهمًـا.. الوهـم الـذي صنعـه لـه العالمـان.. عـالم القبيلـة البيضـاء في رانيـا.. وعـالم الأحـلام في مارجريـت والـذي في النهايـة أوصلـه لمـا يريـدون هم..

مخطـط مـن سـنوات أوصلـه إلى المكسـيك.. ليسـت القبيلـة البيضـاء بعيـدة عـن الخطـأ، لقـد اسـتخدمت مشـاعر ووجـدان إنسـان وجعلتـه خاويًـا بـلا إرادة.. وباقـي لـه فقـط الأمـل الوحيد.. خالـد.

ولكـن أي أمـل كان خالـد.. أحيانًـا الحقيقـة المعكوسـة تصنـع حقيقـة كاملـة تفاصيـل قـد لا نراهـا إلا بالعكـس.. عندمـا قـال مـرزوق إلى يـاسر: «اسـأل خالـد».. كانـت تلـك هـي آخـر صـورة ذهنيـة ليـاسر قبلـما يكتمـل سـلب الإرادة منـه مـع نـور الظـلام.. اسـال خالـد.. اسـأل خالـد.. اسـال خالـد.. حينهـا كانـت قـد وصلـت «نورالظـلام» إلى مسـكنها في كهـف قريـب مـن تشكسـولوب.. ويـاسر مـا زال مرفوعًـا بخيـوط الضـوء الأبيـض.. طائـر بـلا أجنحـة محمـولٌ كإنسـان آلي بمختـبر، توقفـت وأنزلتـه بلطـفٍ حتـى اسـترجع عقلـه ببـطء.. نظـر حولـه لم يجـد إلا «نـور الظـلام».. لم يرتعـبْ أو يدهـش أو حتـى كان اسـتغرابه الدائـم لـه مـكان بـين ملامحـه إلا أنـه كان يـردد.. «اسـأل خالـد».. ابتسـمت لـه نـور بلطـف وهـدوء، وهـي تحـاوره بخطابهـا الذهنـي بـلا حديـث مسـموع:

– مالـك يـا يـاسر؟.. أول مـرة أشـوف واحـد مـش مرعـوب منّـي.

ي- الشيخ مرزوق قال لي اسأل خالد.. أنا فين؟ وإيه إللي جابني هنا؟

إنت في كهف البيضاء.. هنا هتعرف كل حاجة بس الأول لازم تعرف إن طريقنا مافيهوش راجعة بإرادتك أو من غير إرادة.

نظر لها ياسر بلا أي تعبير، وصمت حتى تحدثت وقالت نور الظلام:

- أحيانًا يا ياسر بنجبر على أفعال لا يمكن نعملها لو إحنا لسه في عقولنا تدبُّر، أو الظروف بتحطك في طريق لازم تكمله للنهاية.. إنت وانا وغيرنا لقينا نفسنا مجبرين على الطريق والعودة منه مستحيلة.

- مستحيلة!

- آه مستحيلة.. إنت عشت وهم حقيقي كبير.. وعشان تكتشف حقائق اللي حواليك كان لازم تفوق من أوهامك.. القبيلة الزرقاء.. كانت من كل حتة حواليك.. وعشان تعرف الحقيقة كان لازم نكون معاك في قلب وهمك ولكنه وهم حقيقي.. رانيا وهم لكنها كانت بالفعل حقيقة.. مارجريت وهم لكن بالفعل حقيقة.. كان لازم ندخل العالم دا عشان نرشدك للطريق.. لكن مرزوق وخالد..

- خالد!!! ماله خالد؟

- خالد أُجبِر على الطريق.. والده.. الحكاية قديمة من قبل أنت ما تتولد، والظروف خدمتهم في مبتغاهم

- هُمَّا مين دول اللي يوصلوت لمبتغاهم؟

- مصطفى عدلان كان راجل رائع من أسرة أروع.. وشجن لما تزوجت زهير.. كان راجل حاقد على النعم اللي عند مصطفى عدلان.. وكل حلمه إنه يقعد مكان أبوك.. في وقتها كان مرزوق اللي أصلًا اسمه «ميخاييل»

- مرزوق كان ميخاييل!

- ما تقاطعنيش لو سمحت.. نزل مصر مخصوص عشان عيلتكم انتم.. القبيلة الزرقاء قوتها بتستمد من الهالات الموجودة حول البشر.. واختاروا ٥٣ شخص هم أصحاب أقوى هالات بشرية.. وكنت أنت من ضمنهم، لكن بسبب قوة البشر عن القبيلة بقي استخدام البشر هو الأنسب لهم..

فضلوا يخيروا المختارين اللي قبلك.. الخلاص أم الهلاك.. في منهم رفض ومات وفي منهم رفض وانتصر.. وميخاييل وافق وأصبح خادمًا لهم في أي حاجة يطلبوها.. حدثت أحداث كبيرة منهم، كنت أنا من ضمنهم.. ولما عرفوا إني اختفيت وهنتقم.. بدأ يجهزوا لِخطة ليك من قبل مولدك.. وقد كان.. نزل ميخاييل مصر متخفي في وجه شيخ روحاني.. وبالصدفة كان زهير بيدوَّر على شيخ عشان يعمل سحر-عمل لـ «مصطفى عدلان» إنه ما يخلِّفش عشان لو خلف وجاب ولد هياخد كل حاجة.. وقد كان اللي طلبه حصل.. وطبعًا مرزوق جت له الفرصة الذهبية.. ، وبعد شوية حصل إنك اتولدت، محاولات كبيرة حصلت في وقت حمل ماجي والدتك.. إنها تفقد الجنين لكن كان القدر محتوم.. ولما عرف زهير، اتفق مع مرزوق إنه هيبعت له واحد من السياسين لأنه محتاج منه

حاجـه.. وهـو يوصلـه إلى مصطفـى عـدلان ويبقـى هـو بعيـد عـن أي حاجـة، وبالصدفـة كان يـوم حفلتـك في الفيـلا بالإسـكندرية، وكان الاتفـاق إنـه يقتـل كل الـلي الموجوديـن وانـت معاهـم.. سـافر زهـير وأخـد خالـد الـلي هـو أكـبر منـك ب ٥ سـنين ألمانيـا بحجـة إنـه عندهـم صفقـة مهمـة.. وخالـد ابنـه مـش عايـز يقعـد معاهـم.. ولمـا يحصـل الاتفـاق هيكـون خالـد الوريـث وأبـوه يبقـى الـوصي، لكـن الـلي حصـل العكـس مـا يتمنـوه.. ماتـوا كلهـم إلا داليـا وانـت.. لأن وقتهـا القبيلـة البيضـاء بعتـت سـيدة عميـاء ومعاهـا خـادم جنـي مـن القبيلـة.. لحمايتـك مـن القبيلـة الزرقـاء.. كل دا بمسـاعدة مـرزوق وتعويذاتـه الـلي علمتهـا لـه القبيلـة الزرقـاء، ولمـا حصـل دا، القبيلـة الزرقـاء أمـرت مـرزوق إنـه يحافـظ عليك.. لأنهـم خـسروا أكـبر معركـة بالعـراق، وكنـت انـت الأمـل الوحيـد بالنسـبة لهـم.. والأخـير.

واسـتمرت سـنين وخالـد ورث مـن أبيـه الكـره والحقـد.. لكـن كان أذكـى.. خـلَّاك تثـق فيـه.. هـو الـلي صمـم إنـك تـروح لمـرزوق.. وهـو الـلي وافـق إنـك تيجـي المكسـيك.. فاكـر إن هنـا هتبقـى النهايـة ليـك.. وبخدمتهـم للقبيلـة الزرقـاء هيكونـوا في مأمـن.. لكـن الـلي حصـل طبعًـا العكـس.. يـاسر طريقـك اترسـم خـلاص.. وأملـك الوحيـد انتهـى.. وخالـد بعـد مـا وصـل لـك هنـا.. أصبـح للقبيلـةُ ولا حاجـة.. خالـد كـمان انتهـى.. مافيـش قُدَّامـك إلا حاجـة واحـدة بـس.. إنـك تكمـل الطريـق.

بقـي يـاسر مسـتمعًا لـكل تلـك الأحـداث بـلا أي ملامـح تعجـب أو اندهـاش، ولكنـه شـارد بذهـن لا أحـد يعلـم مـا يـدور بعقلـه.. حقيقـة مؤلمـة.. كان الوهـم أفضـل مـن تلـك الحقيقـة،

ألم وأملٌ قد سُلِبا منه عنوة بلا أي ضمير أو إحساس بشري، القبيلة الزرقاء لم تفعل به أسوأ مما فعله فيه البشر.. حقد وظلم وتبلُّد مشاعر.. حتى الرحمة قد انتهت من قلوبهم.. ولكن ياسر من خلال شروده نطق سؤاله الوحيد:

- يعني أنا كنت متجوز رانيا فعلًا ولا إيه أنا مش فاهم.

ابتسمت نور الظلام وقالت:

- كل الحقائق حقائق وكل الوهم وهم يا ياسر، القبيلة الزرقاء وغيرها ما تقدرش تخلي وهمك حقيقة.. . لكن البشر ممكن يصوروا لك إن الحقيقة هي الوهم.. إنت فعلًا كنت متجوز واحدة اسمها رانيا.. وهي لسه عايشة لغاية دلوقتي.. لأنها كانت معاهم من الأول.. لما خالد قالك لازم تيجي معايا الفيلا في الإسكندرية.. كل دا حقيقة.. لكن كل الناس دي كانت معاهم.. القبيلةُ الزرقاء تأمر وهُمَّا عليهم التنفيذ

تذكر ياسر تفاصيل وهي تسرد له تلك الأحداث.. دلائل خيانة خالد.. هو من أصرَّ على خروجه إلى مرزوق..

هو من أصرَّ على ذهابه إلى الإسكندرية.. تلك هي مرحلةالأمل قد سلبت منه ونجحت القبيلة الزرقاء في أن تصنع من البشر شياطين أسوأ منهم.. معركة وانتصرت فيها

القبيلةُ الزرقاءُ، ولكنها لم تنتهِ بعد.. المعركة مستمرة حتى انتهاء الدنيا.. معركة الوجود.. معركة الخير والشر.. معركة الأقوى.. أصبحت الآن بكل قسوة وحقد وغل بين البشر.. كعرائس «الماريونت» تحرِّكها القبيلة كيفما أرادت.. الأهم والمهم أن تصل إلى مبتغاها الحقيقي، أن يصبح البشر أدنى إنسانية..

كبريــاء إبليــس وأعوانــه وقبيلتــه المنتــشرة بــين الجــن والإنــس، أصبحــت حــول كل واحــد منــا.

احــذروا تلــك القبيلــة، إنهــا مميتــة.. تميــت العقــل قبــل أن تميــت القلــب.. الحكايــة لم تنتــهِ بعــد.. مــا زال أمامنــا الكثــير.. ويــاسر بعــد كل تلــك الآلام.. . لم يصبــح أمامــه إلا طريقًــا واحــدًا..

أن يكون هو..

«نور الظلام»

انتظرونا بالجزء الثانى

«القبيلة الزرقاء «نور الظلام

تمَّت

❊ ❊ ❊



تقول الأساطير والكتب أن هناك من عاش على الأرض قبل خلق الجن والإنس فيما أطلق عليهم قبائل الحن والبن وهم يختلفون عن الجن تماما وقامت بينهم صراعات على الأرض فأمر الله الجن أن يقضوا عليهم ويبيدوهم ويخرجوهم من الأرض وبالفعل حدثت معركةَ كبرى بين قبائل الحن والبن والجن وانتصر خلالها الجن فى تلك المعركة نظرا لقوتهم وقاموا بطرد قبائل الحن والبن من الأرض كلها.... ولكن ماحدث بعد ذلك كانت بداية لمعركة جديدة

دار السفير للطباعة والنشر
٤ شارع الصحافة - المنشية - الاسكندرية
ت : ٤٨٠٣٩٦٤ E-mail : elsafeerpress@yahoo.com